# يَنْبَمُ

## مَألفُ السَّاجعات ، ومرتعُ الشَّوادن قديماً

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أتصفَّحُ ديوانَ الشـاعر حُمَيْدِ بنِ ثورٍ أثناء كتابة كلمة عن فائت شعره ، ما ورد في قصيدته الميمية المشهورة من قوله :

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ      أو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو مِنْ يَنْبَما

وهو البيت الثاني والتسعون من القصيدة الواردة في ديوانه[1] ، تحقيق أستاذنا الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني – رحمه الله – ورأيته يقول في الحاشية : في « البلدان » ق : يَنْبَمُ ، وبَيْنَبَم . وفي « الوسيط » ( يَلَمْلَمَا ) مصحَّفاً ثم نقل الأستاذ عباس عبد القادر الذي علق على الديوان ، كلامَ البكريِّ في « معجم ما استعجم » في تعريف المواضع الثلاثة : ينبم ، وبيشة ، وتثليث .

وسبق لي أن عُنيتُ بالبحث عن موقع يَنْبَم ، فكتبتُ إلى أحد إخواني في تلك البلاد ، رجوته أنّ يبحث لي عن تحديد الموضع ، وهو الأخ الأستاذ فرَّاج بن شـافي المُلْحِم ، فقام برحلة في جمادى سنة ١٤٠٤هـ وكتب إليَّ يقول[2] : يَنْبَمُ وبنات حرب والحَسْداءُ لَمْ نجدْ لها خَبَراً ولا اسماً في المنطقة .

كيف هذا والمواضع الثلاثة تقع على أشهر طريق كان معروفاً منذ العصـور القديمة ، حين كان ملوك حمير يأتون بجيوشهم الجرارة من هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق لإخضاع جوانب الجزيرة ، حتى كان يعرف إلى عهدنا الحاضر باسم ( درب الملك الكامل )(٣) لأنه مَرَّ به حين غزا بني عامر في نجد سنة ٤١٥م ، ثم سلكه أصحاب الفيل سنة ٥٧٠م . وبعد أن ظهر الإسلام أَصْبَحَ طريقَ حجاج اليمن الآتين عن طريق صعدة طَوالَ ثلاثة عشر قرناً ، وقد حدَّدَ مؤلفو كتب المسالك المسافات بين منازل هذا الطريق ، وعَرَّفُوا كُلَّ منزلة حتى إنَّ من بينهم من حدد خطوط العرض لهذه المنازل تحديداً دقيقاً بحيث لو سار المرء على وصف ما ذَكَرَ أَحَدُهُمْ وقاس المسافات التي حددها بين منازل لا تزال معروفة – مثل بِيشةَ وسَرُومِ الفَيْضِ – لاَهْتَدَى إلى الموقع ، وإنْ جُهِل اسمُه ، واختفى رسمه .

ثم كان من حسن الحظ أنْ أُكْرِمْتُ من إحدى الجهات بمجموعة من المصورات الجغرافية ( الخرائط ) لتلك الناحية الواقعة في جنوب المملكة ، وفي منطقة بلاد عسير بالذات حيث يمرُّ ذالك الطريق ، فما أشَدَّ سروري حين وقع نَظَرِي على إحدى تلك المصورات ( الخرائط ) تحمل اسم ( ابن ابن ) ، فكان أول ما تبادر إلى الذهن أنه هو اسم الموضع المقصود ( يَنْبَـم ) ، وعادةُ العامَّةِ تحريفُ الأَسْمَاءِ بتقديمٍ أَوْ تأخيرٍ في الحروف ، وبإبدال بعضها ببعض بل وبتغيير بعضها أصلاً إلى ما يقاربه ، ومن الأول اسم ( ينبم ) غيروه إلى ( ابن ابن ) ، ومن الثاني ( الرقم )(٤) أبدلوا الميم في آخره ( باءً ) فصار يعرف باسم ( الرقب ) بالباء ، ومن الثالث تغييرهم اسم مكان سماه ياقوت ( أسنان بلالة ) وهي رؤوس جبال شامخة من العَرَمَة في الطريق بين الرِّياض والخَرْجِ ، سموها ( ثَنَايَا بِلاَل ) ، وهكذا مما لا يتسع المقام للإفاضة في تفصيله .

كان أول ما استطعت به ترجيح القول بأنه هو الموضع المقصود مقارنة المسافات بين هذا الموضع وبين المنزلين الواقعين قبله وبعده في وصف طريق الحج عند الهمداني ، ثم مقارنة قول الهمداني نفسه بأن هذا الموضع

يقع غرب تثليث .

**يبنبم في الشعر القديم :**

ويحسن هنا أَنْ أُوردَ ما استطعتُ العثور عليه من أشعار المتقدمين عن هذا الموضع .

قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ[٥] :

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَمِ ... غَدَوْا بُكَراً مِثْلَ النَّخِيلِ الْمُكَمَّمِ

وقال حُمَيْدُ بن ثور الهِلاليُّ[٦] :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ ... أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وقال العامِرِيُّ من أبيات[٧] :

يَا جارَتَيَّ وقد أَرَى شَبَهَيْكُمَا ... بِالجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِيَبَنْبَمَا

عَنْزَيْنِ بَيْنَهُمَا غَزَالٌ شَادِنٌ ... رَشَأٌ مِنَ الغِزْلاَنِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا

وإذا صح استنتاج تحديد الموقع بالنسبة لقائله جاز القول بأنه من بلاد بني عامر أو بقربها لوروده في شعر عامريَّيْنِ هما : حُمَيْدَ بن ثور الهلالي ، والعامِرِيُّ الثاني الذي ورد قوله في كتاب « بلاد العرب » ، ومؤلفه من أهل القرن الثالث ، ولا بد أن يكون هذا العامِرِيُّ قبل ذالك العهد، ودلالةُ قول حُمَيْد أبلغُ ، لأنه وصف موقع الحمامة التي أثارتْ شجوه بأنه كان في تَثْلِيثَ وَيَبَنْبَمَ ، مما يدل على أنه كان استقر في تلك البلاد ، وبنو هـلال الذين منهم حُمَيْد كانوا جاوروا خَثْعَم التي كانت تسكن بقرب تَثْلِيثَ ، يضاف إلى هذا أنَّ كثيراً من بطون بني عامر كانت منتشرةً في جنوب البلاد المتاخمة لمنازل اليمنيين ، كما يُفْهَم من ذكر الموضعين معاً على تقاربهما ، وتَثْلِيثُ من أشهر الأَوْدية التي لا تزال معروفة ، وكانت أسافله من منازل العامريين بني عُقَيْل وغيرهم .

وإذَنْ فينبغي أن يكون يبمبم بقرب تثليث .

أما ذكرُ طُفَيْلٍ الغَنَوي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظّغائن المتنقلة من مكان إلى مكان ، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به ، إذ إنّ قبيلة غَنِيّ التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيا بين جبال النِّير وحمى ضرية ، مع أنّ طُفَيْلاً ذكر مواضع بقرب يَنْبَم في شعره مثل ( القَهْر ) .

**تصحيف الاسم :**

صواب اسم الموضع ( يَنْبَمُ ) ، وقد تُقْلَبُ النون ميماً لوقوع الباء بعدها ، وهذا أمر مطّرد ، ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَمْبَمُ) كما سيأتي في نصوص المتقدمين .

وقد وقع الاسم مُحَرَّفاً ومُصَحَّفاً في كثير من كتب الأدب .

فقد جاء في كتاب « الأغاني »[٨] :

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ  أَوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَلَمْلَما

ARCHIVE http://www.alukah.net

حُرِّفَ إلى ( يلملم ) ثم زِيدَ هذا التحريف في الحاشية : ويقال فيه ( أَلَمْلَمُ ) و( يَرَمْرَمُ ) . فلم يكتف المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في الاسم ، بل أضاف خطأً آخر هو قوله : بأنّ يلملم يسمى ( أَلملم ) و( يرمرم ) ، وفرق بين يرمرم ويلملم . فيلملم : موضع تهامي ساحليٌّ هو ميقات حُجَّاجِ تِهَامَةَ ، ويَرَمْرَمُ جبل نَجديٌّ خارج سلسلة جبال الحجاز بقرب مَعْدِنِ بني سُلَيْم ، قال عنه الهَجَرِيُّ[٩] : « قال السُّلَميُّون : يَرَمْرَمُ عَلَمٌ من الأعلام ، أَسْوَدُ ، أقربُ المنازل إليه مَعْدِنُ بني سُلَيْمٍ عن يمين الذاهب إلى مكة من العراق » ، ولا يزال هذا الجبل معروفاً ، ولكن العامة تسميه ( رَمْرَم ) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل ( ينوف ): (نوف) و( ياقوت ) ( قوت ) و( يجودة ) ( جودة ) و( يعقوب ) ( عقوب ) وهكذا .

ويقول الشاعر العامي مُخلد القَثامِي العتيبي في رمرم :

الدَّرْبَ عَـانهْ من حَصَـا كُشْبٍ وَيْسَـارْ

مَـا حَـدُّ رَمْرَم والهِضَـابَ العَسِيبِ[١٠]

وقال خُصَيْوِي القَوْسُ المَرْشَدِيُّ العُتيبِي من أبيات سنة ١٣٤٨هـ :

تَعَـرَّفِيهـا ثَـرَاهـا دِيرَةَ القَـوْم رَمْرَم ورَايَـانْ لَزْماً ثَاصَـلِيْنه[١١]

وجاء بعد صدور طبعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار فراج – رحمه الله – فسار في تحقيقه لهذا الكتاب على نهج ما ورد في طبعة الدار ، مع التعليق على البيت بذالك التعليق الخاطئ .

وجاء محقق كتاب ( الكامل )[١٢] للمبرد صديقنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم – رحمه الله – فأورد البيت كما ورد في كتاب ( الأغاني ) ، وحاشيته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع أن شيخنا الميمني – رحمه الله – أورد الاسم صحيحاً في تحقيق ديوان حميد ، وأشار إلى أن كلمة ( يلملم ) تصحيف ، فإن المشرف على طبع كتاب « الوحشيات »[١٣] الذي حققه الشيخ الميمني أورد البيتَ على الصفة التي قال الشيخ الميمني : إنها تصحيف .

وجاء صديقنا عبد السلام محمد هارون – رحمه الله – فأورد البيت في كتـاب « الحيوان »[١٤] كما ورد في مطبوعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » وأشار إلى وقوع تصحيفين آخرين في مخطوطتين من مخطوطات كتاب « الحيوان » في إحداهما ( بينمنا ) وفي الثانية ( بتلملما ) .

ومن تصحيفات هذا الاسم أيضاً ما ورد في « معجم البلدان » في حرف الباء الموحدة من قوله : « بَبَمْبَم – بفتحتين – وزن غَشَمْشَم – : موضع أو جبل ، وكذا ذكره الأزهري والخارزنجي ولم تجتمع الباء والميم في

كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة ، ورواه بعضهم يَنْبَم ، وقد رُوي على اللُّغتين قولُ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ حيث قال :

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ ... وبالرِّزْنِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا »

مع أنه أورد في حرف الألف ما نصه : « أَبَنْبَمُ - بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة وميم بوزن أَفَنْعَل من أبنية كتاب سيبويه ، ويُرْوَى يَبَنْبَم بالياء ، وذُكِرَ في موضعه ، وأنشد سيبويه لِطُفَيْلِ الغَنَوِيِّ يقول :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِجَفْرِ أَبَنْبَمِ ... نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الفَسِيلِ الْمُكَمَّمِ »

ثم قال في حرف الياء : « يَبَنْبَمُ - بفتح أوله وثانيه وميم ساكنة ، وباء موحدة أخرى وميم : اسم موضع قُرب تَبَالَة عند بِيشَةَ وَتَرْج ، والتَّلَفُّظ به عَسِيرٌ لِقُرْب مخارج حروفه ، قال حُمَيْد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ - خمسة عشر بيتاً أوردها - وكان البيت الثاني عشر منها :

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ ... أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وقال بعض بني عامر :

يَا جَارَتَيَّ وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا ... بِالجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِيَبَنْبَمَا

عَنْـزَيْنِ بَيْنَهُمَـا غَزَالٌ شَـادِنٌ ... رَشَأٌ مِنَ الغِزْلانِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا »

وأضاف في حرف الياء ما نَصُّه : « يبنبم - بفتح أوله وثانيه وسكون نونه ، وباء مفتوحة وميم - ويقال : أَبَنْبَمُ - : موضع ، وهو من أبنية كتاب سيبويه ، قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَمِ ... نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الفَنِيقِ الْمُكَمَّمِ(١٥)»

ولا شك أَنَّ إيرادَ الاسْمِ بالباء ( بَبَنْبَم ) تصحيف يَبَنْبَم ، وياقوت - رحمه الله - كثيراً ما يكرر الاسم الذي لا يتيقن صحة ضبطه مثل ( رَنْيَـة ) ، أوردها في الموضع الصحيح ، ثم أوردها في حرف الزاي

( زِنْئة ) .

ومن أَسْوَأ أنواع التصحيف في هذا الاسم ما وقع في المطبوعة التي حققهـا الدكتور محمد حسين الزُبَيْدي وطبعت في العراق من كتاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، فقد ورد فيه الاسم بهذا النص : ( ومن نبات حرم إلى شميص [ بدون نقط ] منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل ...... ومنه إلى كُتْبَة ) وكرر ( كُتْبَة ) مرة أخرى ، ووردت ( سروم ) : ( شَروم ) ولكن اسم ( يَبَمْبَم ) ورد صحيحاً في المطبوعة الأوربية وما صُوِّر عنها .

مما تقدم يتضح أن سبب صعوبة النطق بالاسم التي عبر عنها ياقوت بقوله : ( التلفظ به عسر لقرب مخارج حروفه ) سَبَّبَ تحريفه وتصفيحه إلى يلملم ، وببنبم ، إلى غير ذالك من أوجه التصحيف والتحريف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**أقوال علماء اللغة :**

لعل من أقدم من ذكر اسم الموضع من اللغويين سيبويه في ( الكتاب ) على ما ذكر البكري وياقوت في معجميهما ، وسيأتي نصُّ ما ذكرا ، وقد تتبعت فهرس الكتاب في مطبوعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون فلم أُعْثَر على النص المنسوب لسيبويه في الكتاب .

وقال الأزهري في « تهذيب اللغة » : يَبَنْبَمُ : وذكر حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ يبنْبَمَ[١٦] :

إذَا شِـئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو من يَبَنْبما

وقال ابنُ دريد[١٧] : ( ب م ب م ) : لم تجتمع الباء والميم [ مكررة ] في كلمة إلاَّ في يبمبم ، وهو جبل أو موضع .

وقال صاحب « اللسان »[١٨] : أبنبم ويبنبم موضع ، قال ابنُ بَرِّي : أَبَنْبَمُ على أَفْنَعَلَ من أبنية الكتاب ، قال طُفَيْل :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِجَفْـرِ يَبَنْبَـمِ نَعَـمْ بُكَراً مِثْلَ الفَسِيلِ الْمُكَمَّمِ

ثم نقل ما في « التهذيب » وتقدم .

وقال في « تاج العروس »[١٩] فصل الياء مع الميم : ومما يستدرك عليه يَيْمَبَمُ – بفتح الياء والباء الأولى والثانية بينهما ميم ساكنة : اسم موضع قرب تَبالة ، قال حُمَيْد بن ثَوْر :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ ... أَوِ الجِزْعِ من تَثْلِيثَ أو من يَيَمْبَما

قال ياقوت : والتلفظ به عَسِيرٌ لقرب مخارج حروفه ، وقد أشار إليه المصنف في أول الحرف ويقال : بالألف أيضاً بدل الياء ، وقد تقدم ذالك للمصنف أيضاً ، ويقال أيضاً بالباء الموحدة أولاً .

واختلف في وزنه فقيل : فَعَلَّل كَسَفَرْجَل ، وقيل : يَفْمَعل ، ويروى أيضاً يَنْبَم بقلب الميم الأولى نوناً ، أورده ياقوت هكذا ، وبه رُوِيَ قول طُفَيْـل الذي سبق في أول الحرف ، وعلى كل حال كان الواجب على المصنف الإشارة إليه هُنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي « التاج » أيضاً قبل ما تقدم : ابنبم : أهمله الجوهري ، وهو من أبنية كتاب سيبويه وزنه أُفْنَعَل ، ويقال ينبم بالياء وزنه يفنعل ، وهو موضع قرب تَثْلِيثَ ، وأنشد سيبويه لطُفَيْل الغَنَوِيِّ :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِحَفْرِ يَنَبَّمِ ... نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ

وأنشد الصاغاني لِحُمَيْد بن ثَوْر – رضي الله عنه –:

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ ... أَوْ الرَّزْنِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِأَبْنَبَمَا[٢٠]

ثم أورد كلام ياقوت في معجمه .

**ومن أقوال علماء المواضع :**

قال الهمداني في ( شرح القصيدة الدامغة )[٢١] بعد أن تكلم على يوم رَنْيَة : ورَنْيَةُ القُرَيْحَا ، وأورد شعراً لِعَمْرو بن معدي كرب في ذالك اليوم ، وجواب عامر بن الطُّفَيْل له وفيه يقول :

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب « الإكليل » : يَبْنبُمُ وحَبَوْنَنُ وَجَاشُ وَمَرِيعُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِج ، قال : وكذالك الْهُجَيْرَةُ والْكُتْنَةُ ، قال : وهي اليوم لبني نَهْدٍ » ، وكل هذه المواضع معروفة سوى يبنبم .

وقال أيضاً[٢٦] : قال الهَمْدانيُّ : حَبَوْنَنُ من ديار مَذْحِجَ ،وكذالك جَاشُ ومَرِيعُ ويَبَنْبَم قال : هي اليوم لبني نَهْدٍ .

وقال البكري أيضـاً : « يَبَنْبَم – بفتح أوله وثانيه وبعده نون وباء أخرى – : وادٍ شَجِيرٌ قِبَلَ تَثْلِيثَ ، قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ :

إذا شئْتُ غَنَّتْني بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ أَوِ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ من يَبَنْبَما

وذكر سيبويه في الأَبْنِيَة : أَبْنْبَم – بالهمز على وزن أَفْنَعَلَ ، وهي لغتان فيها الهمزة والياء كما هي في ( يَلَمْلَم ) ولم يَذْكُرْ سِيبَوَيْهِ فيه الياء » .

وتقدم كلام صاحب « معجم البلدان » .

ARCHIVE http://www.al-mostafa.com

**ومن أقوال علماء المسالك :**

تقدم القول بوقوع ( يَبَنْبَم ) في أشهر الطرق التي تأتي من اليمن إلى داخل الجزيرة ، ويحسن إيراد بعض أقوال أصحاب المسالك في ذالك، ولعل من أقدمهم ابنُ خُرْداذبة فقد جاء في كتابه ( المسالك والممالك ) يصف طريق المتجه إلى اليمن بعد تَبَالة[٢٧] : ثم إلى بِيشَـةِ بُعْطانَ كبيرة فيها ماء ظاهر ، قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ الهلاليُّ :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو يبَنْبَما

ثم إلى الجَسَداء فيها بئر ، ولا أهلَ فيها ، ثم إلى بنات حَرْب قرية عظيمة فيها عين وبئر ، ثم إلى يَبَنْبَمَ ولا أهل فيها ، ثم إلى كُتْنَةَ قرية عظيمة فيها آبار ، ثم إلى الثَّجَّة فيها بئر ، ثم إلى سَرُومِ رَاحٍ قرية عظيمة فيها عيون وكروم ، وجُرَشُ منها على ثمانية أَمْيَال .

وفي كتاب ( المناسك ) في وصف الطريق من اليمن إلى مكة[٢٨] : ومن ذاتِ عُشٍّ إلى كُتْنَة ، ومن كُتْنَة إلى يبَنْبَم وبينهما الماء ، ومن يَبَنْبَم إلى بنات حرب وبينهما المسلة (؟) ثم جَسَدَاء ثم المَيْثاء ومن بِيشَة إلى تَبَالَة . انتهى .

وقال قُدَامة بن جعفر في كتاب « الخراج وصناعة[٢٩] الكتابة » : ومن بِيشَة إلى جَسَدَاء – منزل أعراب من قَيْسٍ ، ومن جَسَدَاء إلى بنات حرم (؟) قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، ومن بنات حرم إلى يَبَمْبَم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به أهل ، وحوله أعراب من خَثْعم ، وبينها وبين جُرَش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كُثْبَة (؟) قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار في صحراء ، بينها وبين جُرَش ثمانية أميال . انتهى .

أما أدَقُّ هاؤلاء العلماء وصفاً للطريق ، وتحديداً للموضع ، فهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، قال في وصف محجة صنعاء إلى مكة بعد أن ذكر ما قبل سَرُوم الفيض فكتنة[٣٠] : ومنها إلى سَرُومِ الفَيْض أربعة عشراً ميلاً وعرضها ستة عشر جزءاً ونصف وخمس جزء ، ومنها إلى الثَّجَّةِ ستة عشر ميلاً ، وعرضها ستة عشر جزءاً وثُلثا جزء وربع جزء ، ومنها إلى كُتْنَةَ عشرون ميلاً ، وهي على تمام خمسة عشر بريداً من صنعاء وثمانين ومئة ميل ، وكُتْنَةُ أوَّلُ حَدِّ الحجاز ، وعرضها سبعة عشر جزءاً وسدس ونصف عشر ، وعرضها وعرض جُرَشٍ واحدٌ ، لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ، ومن الْهُجَيْرَةِ وتَثْلِيثَ عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى يَبَمْبَم عشرون ميلاً ، وذالك مئتا ميل من صنعاء ، وعرضها سبعة عشرَ جزءاً ونصف وسدس عُشْرِ جزء ، ومنها إلى بنات حَرْب عشرون ميلاً ، وعرضها سبع عشرة درجة وأربعة أخماس درجة ، ومنها إلى الجَسَدَاء اثنان وعشرون ميلاً ، وعرضها ثماني عشرة

درجة وعُشْرٌ ونصفُ عُشْرٍ ، ومنها إلى بِيشَةِ بُعْطان أحدٌ وعشرون ميلاً وعرضها ثماني عشرة درجة وثلث وثمن ، ومنها إلى تَبالَة أحد عشر ميلاً . انتهى ، فهو كما ترى لم يكتف بتحديد المسافة بالأميال بل ذكر درجاتِ عرض كل منزلة من المنازل المذكورة .

ومن المعلوم أن درجات العرض عند المتقدمين قد تختلف عنها عند المتأخرين فهي وان كانت تبتدئ من خط الاستواء عند الفريقين فإنّ هناك اختلافاً يسيراً يتضح بمقارنة عروض المنازل :

١ – فدرجة العرض في سروم الفيض عند الهمداني تقل عن سبع عشرة درجة بينما هي عند المتأخرين تقع على درجة العرض (١٨ درجة ) وعلى درجة الطول : ٢٥ /٤٣° .

٢ – ومنزل الثَّجَّةِ الواقع بين سَروم الفيض وكُتْنَة ليس معروفاً الآن ولا تفوت الإشارة إلى أن من المواضع الواقعة على الطريق في هذا الاتجاه بقرب منتصف الطريق بين الفيض وكتنة موضعاً يسمى ( الثَّجْر ) في إمارة ( الأمواه ) إحدى إمارات بلاد عسير ، ولا أستبعد أن يكون هو ( الثَّجَّة ) فحرف الاسم ، وهو اسم قرية مأهولة تقع على خط الطول ٣٠ /٤٣°وعلى خط العرض ٢٥ /١٨° في وادٍ بهذا الاسم أيضاًتقع آثار الجُعَيْفِرة المكان الذي يُظَنُّ أنه هو الهُجَيرة شرق الثَّجْر هذا ، بميل نحو الجنوب بقرب خط الطول ٤٣ /٣٠ُ°وخط العرض ٤٥ /١٨° بحيث تقرب من مُحاذاة منزلة كُتْنَة التي ذكر الهمداني[٣١] أنها في مشرقها .

٣ – أما كُتْنَة المنزل الواقع على هذا الطريق فعرضها يزيد على سبع عشرة درجة عند الهمداني وعند المتأخرين تزيد على تسع عشرة درجة ، ودرجة الطول ٢٠ /٤٣° .

ويلاحظ أنّ اسم كُتْنَة يطلق على أربعة مواضع واقعة فيما بين سَروم الفَيْض ورَنْيـة ، ولكن المـنزلة التي حددها الهمداني هي التي سبق تحديد

درجاتها ولا تزال معروفة قرية في وادٍ بهذا الاسم .

٤ - يسمم : حدَّدَ الهمدانيُّ درجاتِ عرضها بأقلَّ يسيراً من ثماني عشرة درجة ، وهي تقع على درجة العرض ١٩/٣٠ ، وعلى درجة الطول ٠٠/٤٤ .

٥ - بنات حرب : على درجة تبلغ ثماني عشرة إلا يسيراً عند الهمداني ، والموضع ليس معروفاً ولكن هناك جبال تقع في تلك الجهة يطلق عليها الاسم ، على ما حدثني بهذا أديبُ بلاد عسير الشيخ عبد الله بن علي بن حُمَيْد - رحمه الله -.

ومع أن الموضع ذو شهرة عند المتقدمين حيث وصفه قدامة بن جعفر بأنه قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، وقريب من هذا الوصف ورد في كتاب ( نزهة المشتاق )(٣٢) فإن الاسم في الكتابين وَرَدَ مُحَرَّفاً ، ففي الأول ( بنات حرم ) وفي الثاني ( بيات ) ، كتحريف غيره من الأسماء الكثيرة الواقعة في المسالك في هذين الكتابين .

٦ - الجَسَداءُ : درجات عرضها تزيد على ثماني عشرة ، ولكن الموضع لا يزال مجهولاً ، وإنْ عرفت المنطقة التي يقع فيها ، فقد ذكر الهمداني(٣٣) أنه من ( يَعْرَا ) ويَعْرَا : وادٍ لا يزال معروفاً بل هو من أشهر الأودية في منطقة بلاد عسير ، ينحدر من السراة ويصب في وادي تَثْلِيثَ مع وادي طَرِيبٍ ، وسكانه ناهس من شَهْرَان القبيلة الخَثْعَمِيَّة المعروفة .

٧ - بِيشَة بُعْطَان : ودرجة العرض عند الهمداني تقارب ثماني عشرة ونصفاً ، وهي كما في المصورات الجغرافية الحديثة يقارب عرضها عشرين درجة وخط الطول : ٤٠ /٤٢ ، ويلاحظ أن وادي بِيشَة يُعَدُّ من أطول أودية بلاد العرب ، ولعل المقصود هنا هو أقرب ثني منه الطريق حيث أضافه إلى بُعْطان ، وبُعْطان هذا رافد صغير من روافد وادي بِيشَة يقع

بقرب خط العرض المذكور .

**اتجاه الطريق :**

ومما ينبغي أن يلاحظ أنَّ الهمداني ذكر أن الاتجاه في هذا الطريق يستمر إلى جهة الشمال الغربي حتى يبلغ رأس المناقب ، ويقصد ما يعرف الآن باسـم ( الريعان ) جمع رِيعٍ قبل قرن المنازل ، قال عند ذكر هذا الموضـع وهو منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب ، وعلى أساس قوله هذا كان تقديره لدرجات العرض ، فوقع في شيء من عدم الدقَّة ، لأنه لم يلاحظ أنه بَعْدَ أن يتجه الطريق من منزلة الفَيْض يأتي إلى أرضٍ منحدرة هي فروع الأودية التي تنحدر من السراة ، فيسلك الطريق ما تساهل منها ، وقد يأخذ إلى الجنوب الغربي تبعاً لاختيار الطريق السهل .

وينبغي أن تكون منزلة يَنْبَم مماثلة في درجة العرض لمنزلة كُتْنة ، أي تزيد على الـ (٤٣) . وبعد منزلة يَنْبَم يبدأ انحراف الطريق من الشمال إلى الشمال الغربي ، حيث يَتَنَكَّب الطريق منحدراتِ فروع وادي تَثْلِيثَ ومجرى الوادي المنخفض الـذي اتسع عندما بلغ منطقة يَعْرَا ، فسهُل اجتيازه إلى منزلة الجَسَدَاء الواقعة في هذه المنطقة بقرب درجة الطول : ٤٣° ودرجة العرض : ٤٥ /١٨° .

ومما تجدر ملاحظته هنا أنَّ وادي بيشة من أطول الأودية التي تخترق تلك المنطقة ، ففروعه تنحدر من قرب خط العرض : ٣٠ ′/١٧° ومفيضه يتجاوز خط العرض : ٠٠ ′/٢١° ، ولكل ثنيٍ من أثنائه اسم خاص به ، ففي أعلاه يسمى بيشةَ ابن سالم ، وفي أثنائه يعرف ببيشة ابن مُشَيْطٍ ، وفي حوضه يعرف ببيشة بُعْطان ، وفي أسفله بقرب فروعه يعرف ببيشة النخل .

أما منزلة الطريق في هذا الوادي فهي بيشة بُعْطَان ، اسْم رافد صغير من روافد الوادي ينحدر في وادي هِرْجَاب الوادي المشهور ، الذي يجتمع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع وادي بيشة بعد اجتماعه برافد بعطان ، ويوضح هذا ان الرداعي وهو يصف الطريق يقول في أرجوزته المشهورة[٣٤] :

لِلْجَسَـدَاء شُخَّصـاً لِلْمَـاءِ ثُـمَّ الغَضَـار فـإلى المَيْثَاءِ
حَتَّـى إذَا أَوْرَدتُّهـا رَنُومـا وادِيَهـا والمنهـلَ المعلومـا
ثم بِبُعْطَـانَ بِوَاجِي الوَسْجِ تَـؤُمُّ مِنْ بِيشَـةَ وادِي تَـرْجِ

والهمداني حينما ذكر المنزل سماه ( بيشة بُعْطان )[٣٥] ، والمَيثاء ورنوم شعبـان لا يزالان معروفين ، وكذالك بعطان ، والموقع هو بقرب درجة الطول : ٣٠ /٤٢° ودرجة العرض :٣٥ /١٩°، ثم اتجه الطريق نحو مَصَبِّ تَرْجٍ في وادي بِيشةَ فكأنه انحرف ذات اليسار عن منخفض الوادي ، الذي تكثر فيه المنحدرات والقرى ، ووادي تَرْج يجتمع في وادي بيشة عند قرية الحَيْفَةِ بقرب خط الطول :٣٠ /٤٢° وخط العرض : ٥٠ /١٩° وهي في منطقة إمارة الحازمي ، تقع شرق بلدة الحازمي قاعدة الإمارة ، بقُرْبها .

ثم كان الاتجاه من هذه المنزلة إلى منزلة تَبالة حيث خط الطول : ٢٠ /٤٢° وخط العرض : ٢٠°، ومن تبالة هذه انحرف نحو اليمين فاجتاز وادي رَنْيَة ثم جزع الحَرَّة ، ونزل إلى وادي كَرَاء ، فوادي تُرَبَة ، واتجه شمالاً قصدا حتى المناقب .

مما تقدم يتضح اتجاه الطريق ، والغاية من ذالك الإشارة إلى عدم دقة كلام الهمداني من وصفه بأنه يتجه إلى الشمال حتى رأس المناقب في جميع منازله ، كما يفهم من قوله المتقدم ومن قوله أيضاً : إن الاتجاه من كُتْنَةَ إلى بِيشَة إلى مغيب الأوسط من بنات نَعْشٍ الذي بجنب السُّها ، وإلى المناقب على سمت مغيب الآخِرِ منها الذي يطلع آخِرها ويغيب آخِرها[٣٦] .

وهذا الانحراف الواقع في الطريق ناشئٌ عن اختيار ما سَهُل من الأرض لسـير الإبل والدواب ، وهذا يتطلب البعد عن منحدرات جبال السراة ما أمكن ، ثم تحاشي السـير في الأودية المنحدرة منها التي كثيراً

ما تجرف بسيولها ما يقع فيها .

فقد جزَعَ الطريقُ فروعَ وادي تَثْـليث ونَكَّبَ مَجْرَى الوادي وروافده الكبيرة يسارَه ، واتجه مع الأرض السهلة من منزل سَرُومِ الفَيْض ، واتخذ اتجاهه الذي يُجَنِّبُه اعتراضَ الأودية حتى تساهلت له الأرض الفسيحة بعد اجتياز المرتفعات ، وانبساط وادي تَثْلِيث حيث جَزَعَه إلى سهل حوض وادي بِيشَةَ .

**أين يقع يَبَنْبَم من هذا الطريق ؟**

تحديد المتقدمين يوضِّحُ أنَّه في المنتصف فيما بين بِيشَـةَ وسَرُومِ الفَيْض ، الموضعين اللذين لا يزالان معروفين ، فهو المنزل الثالثُ من بِيشَةَ لقاصد سَرُوم ، وهو المنزل الرابع من سَروم لقاصد بِيشَة ، والمسافة بينه وبين بِيشَـة ثلاثة وستون ميلاً ، والمسافة بينه وبين سروم الفَيْض ستة وخمسون ميلاً ، والمنزلة التي تليه فيما بينه وبين سروم الفَيْض هي كُتْنَة الواقعة على خط الطول ٢٠ /٤٣° وخط العرض ١٠ /١٩° ، أما المنزلة التي بعده وهي بَنَات حَرب فيما بينه وبين بِيشَة فغير معروفة ، وكذا الجَسَدَاء إلاَّ أنَّ الأخيرة هذه وإن كانت مجهولة فقد أشار الهمداني إلى وقوعها في منطقة وادي يَعْرًا ، ووادي يَعْرا لا يزال معروفاً وهو واقع على خط الطول . . /٤٣°و ٤٥ /١٨°.

وإذَن فكأن الطريق انحرف يسيراً من اتجاهه من كُتْنَة إلى يَعْرا ، إذْ كُتْنَة على عرض ٢٠ /٤٣° فينبغي إذَنْ أن تكون المنزلة الواقعة بعد كُتْنَة حين يُلاَحظ أنَّ الأرض مستوية وأنه ليس هناك ما يدعو إلى الانحراف فتكون المنزلة على خط طول لا يزيد على ٢٠ /٤٣° ولا ينقص عن ٤٣°درجة ، وخط العرض ينبغي أن يكون بين ١٠ /١٩° وهو عرض كُتْنَة و٤٥ /′١٨° وهو عرض يَعْرا .

أما المسافة بين كُتْنَة ويَعْرًا فهي على تقدير الهمداني اثنان وستون ميلاً منها عشرون قبل منزل يَبَنْبَم ، واثنان وأربعون بعدها .

وعلى هذا تكون المسافة بين كُتَيْنَة وَيَمْبَم على وجه التقريب تزيد يسيراً على خمسين كيلاً ، إذْ الميل حسبما اتضح لي من الأميال التي لا تزال باقية في طريق زُبَيْدَة في طريق الحج البصري المارِّ بنجدٍ ، يتراوح بين ألفين ومئتين ، وألفين وأربع مئة متر .

أما درجة العرض فينبغي أن تكون منزلة يَمْبَم بقرب خط العرض ١٩°درجة بدون زيادة وخط الطول ١٥ /٤٣° .

وإذا صح هذا التقدير فان الموقع المعروف الآن باسم ( ابن ابن ) تنطبق عليه أكثر تلك الأوصاف .

يبدو ان اسم ( ينبم ) يطلق على الوادي الذي يعرف الآن باسم ( وادي ابن ابن ) وهذا الوادي قد رُسم له مُصَوَّرٌ جغرافي خاص باسمه ، وفروعه تقع بقرب خط الطول : ٥ /٤٤° وهي تنحدر من جبال القهر[٣٧] ، ويجتمع بوادٍ يدعى وادي السَّمارة ، تاركاً جبال عَرْوَا جنوبه ، وجبال عروا هذه هي عَرْوَا القهر ، التي ذكر الهجري[٣٨] ، وفي جنوب الوادي سهل واسع يطلق عليه اسم سهل المنقع ، وسهل منقع الحمام ، وهناك قرية بهذا الاسم ( منقع الحمام )[٣٩] في منطقة العين تقع بقرب خط الطول : ١٥ /٤٤° وخط العرض . . /١٩° ، وهذا السهل المنبسط من الأرض تَلُبُّ به جبال القَهْر من شماله ، كما تَلْهَزُه من الجنوب جبال عروا ، وفي شماله واد يعرف بوادي المَغْرَة ، فيه بئر بهذا الاسم ، وواد آخر يدعى وادي جَبْجَب ، يتجه الواديان صوب الشمال ، وفي جنوب ذالك السهل تقع جبال تعرف باسم جبال القباقب ، وجبل الخشيبة ، تنحدر منها شُعَبُ أودية تفيض في وادي السمارة ، منها شعب خمط وشعب الخشيبة وشعب مُكَسِّر من جبل بهذا الاسم ، وشعب ضبير ، وأشهر الأودية الواقعة في جنوبه وادي السمارة الذي يدع سهل المُرَيْخ جنوبه ، وأكثر الشعاب تنحدر في وادي السمارة ومنها وادي ( ابن ابن ) .

ومنطقة وادي ابن ابن كما رسمت في المصور الجغرافي ( الخريطة ) تقع بين خطي الطول : ٠٠/٤٤°و١٥/٤٤° وبين خطي العرض: ٣٠ /١٩° و٥٥/١٩°والمسافة إلى هذا المكان من كتنة تقارب ما حدد الهمداني عشرين ميلاً أي نحو خمسين كيلاً . يتضح هذا من أن الهمداني حدد المسافة بين سروم وبين كتنة بستة وثلاثين ميلاً وهي بسير السيارات الآن تقارب ستين كيلاً .

وقد يلاحظ هنا أنَّ هذا الموقع بالنسبة إلى منزل كتنة منحرف شمالاً ، ولكن الانحراف بين منازل الطريق قد تسببه وعورته ، وهذا مما يكثر في منازل طرق الحج مما لا يتسع المجال لتفصيله .

وبالإجمال فلا شك أنَّ الاسم الذي يطلق على هذا الموضع طوال السنين له صلة بالاسم القديم ( أَنْبُم ) بصرف النظر عن الموقع الذي كانت منزلة الطريق تقع فيه منه ، فقد يكون الاسم تقلَّص فصار لا يشمل إلاّ هذا الجزء الواقع في منطقة جبال القَهْر ، بينما كان يشمل ما هو أوسع منها بحيث كان الطريق يمر بجانب منه .

وقد يتصدَّى أحد الدارسين لتناول الموضوع بدراسة أدق وأوفى وأشمل مما تقدم .

الحواشي :

(١) ص٢٦ .

(٢) « العرب » س١٨ ص١٠٢٦ .

(٣) كتـاب فلبي « المرتفعات العربية » ص٤١ ـ ٧٤ (ARABIAN HIGHLANDS) .

(٤) انظر هذا الاسم في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة .

(٥) « صفة جزيرة العرب » ٣٢٥ نشر دار اليمامة ، وديوان الشاعر ٧٢ مع تصحيف ( بجفر ) إلى ( بجفن ) .

(٦) ديوانه : ٢٦ .

(٧) « بلاد العرب » للحسن الأصفهاني ، ص١٤٩ .

(٨) ٣٥٥/٤ ـ ط.دار الكتب المصرية .

(٩) « التعليقات والنوادر » للهجري : ١٩ المخطوطة المصرية .

(١٠) ( عانه ) : انظره .

(١١) ( تراها دبرة القوم ) : هي دبرة الأعداء . ( لزما ناصـليـنه ) : أي تصلين إليه ، يخاطب ناقته .

(١٢) ١٢٤/٣ط. نهضة مصر .

(١٣) ١٩٣ .

(١٤) ١٩٨/٣ .

(١٥) أرى أن كلمة ( الفنيق ) تصحيف ( الفسيل ) .

(١٦) ٥٩١/١٥ .

(١٧) « جمهرة اللغة » ١ : ١٧٧ .

(١٨) رسم ( بيم ) .

(١٩) رسم ( بيم ) .

(٢٠) الرزن : هو المكان المرتفع يكون فيه الماء .

(٢١) ص١٨٢ .

(٢٢) طي وعرعر في قول امرئ القيس واقعان في شمال الجزيرة ولا يزالان معروفين من أشهر الأودية تحدثت عنهما في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ـ قسم شمال المملكة ـ ولعل هذا من هفوات الهمداني ـ رحمه الله ـ.

(٢٣) ٢٥٣ .

(٢٤) ٤٥٤ .

(٢٥) ٢ : ٣٥٩ .

(٢٦) ٢ : ٤٢١ .

(٢٧) ١١٨ .

(٢٨) ٦٤٤ .

(٢٩) ١٥ [ ص٥٨ الطبعة المصورة لفؤاد سزكين ] .

(٣٠) « صفة جزيرة العرب » ٣٣٩ ط. دار اليمامة .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) ١٤٥ طبع روما .

(٣٣) « صفة جزيرة العرب » : ٤٢٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٤) المصدر السابق : ٤٢٨ باختصار .

(٣٥) المصدر السابق : ٣٤٠ .

(٣٦) المصدر السابق : ٣٣٨ .

(٣٧) « العرب » س١٩ ص٣٠٠/٨٤٨ .

(٣٨) « أبو علي الهجري » ٣٤٠ .

(٣٩) « أطلس منطقة عسير الإدارية » ص٥٤ ، ومجلة « العرب » س١٩/٣٠٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# التعريف والنقد

## معجم موسوعي وثائقي

### بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية والدولية

### إنكليزي – فرنسي – عربي

**إعداد وشرح : الدكتور زكريا السباهي**

**الطبعة الأولى : ١٩٩١ ـ دار طلاس بدمشق**

الدكتور صالح الأشتر

هذا المعجم الموسوعي الوثائقي المختصر الذي صدر حديثاً عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق يَلفِتُنا بصدوره إلى ظاهرة جديرة بأن نرصدها : وهي كثرة المعاجم اللغوية الاختصاصية التي أصبحنا نملكها في شتى المجالات ومختلف ألوان المعارف والعلوم والفنون ، وقد بدأت المكتبة العربية تزخر بأصناف هذه المعاجم منذ بداية الخمسينيات ، وكلُّها – إلا بعضاً يسيراً منها – صادرٌ عن جهود فردية آثر أصحابها أن ينكبّوا على عملهم بدأبٍ وصمتٍ ، كلٌّ في مجال اختصاصه ، ليُصنّفوا معاجم للمصطلحات باللغات الثلاث : العربية والإنكليزية والفرنسية ، ويعملوا على نشرها ، وكان المأمول أن تُشرف المجامع والمؤسسات العلمية العربية على إعداد تلك المعاجم وتتكفّل بإصدارها ، وكان بعض أصحابها قد شاركوا أول الأمر في اللجان المجمعية العاملة في هذه المجالات ، ثم رأوا أن ينفردوا وحدهم بالعمل ، إذا أُريد له أن يبلغ دون إبطاء غايته ، بعيداً عن اجتماعات اللجان وشكلياتها ، فطلبوا السماح لهم بأن يستقلّوا بإنجاز عملٍ كان

المفروض في الأصل أن تقوم به تلك اللجان التي كانوا قد أسهموا في بعض أعمالها ، والأستاذ مجدي وهبة ، في معجمه النفيس ( معجم مصطلحات الأدب ) الصادر عن مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٧٤ واحدٌ منهم[١] ، وعن هذه المكتبة صدر عدد وافر من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، في سلسلة قيّمة تمتاز بجودة الإعداد وحُسن الإخراج ، والمثقفون العرب اليوم بحاجة إلى أمثالها في كل مجال من مجالات اختصاصاتهم المختلفة .

وهنا ينبغي أن نذكر أيضاً تلك الجهود الطيبة التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في المغرب ، في إصدار عددٍ من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، وكان الجناح المغربي من العالم العربي منذ بداية الستينيات ، حريصاً على تعريب المصطلحات في كل اختصاص ، لحاجته إلى إحلال المصطلح العربي محلَّ المصطلح الأجنبي ( الفرنسي ) لتُصبحَ العربيةُ على ألسنة عرب شمالي أفريقية اللغة القومية القادرة على التعبير عن كل وجهٍ من أوجه الحياة الحضارية ، ويتمَّ التخلّصُ بذلك لديهم من طغيان اللغة الأجنبية وجَوْرِها على لغتهم القومية ، وقد أُتيح لي خلال إقامتي يومذاك في المغرب أن أشهد نشاط مكتب تنسيق التعريب – وعلى رأسه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله – في تزويد المكتبة العربية بعددٍ من المعاجم الاختصاصية بمختلف المصطلحات في ألوان العلوم والصناعات والفنون ، لجعلها مُوازيةً ومُساويةً للمصطلحات الغربية الحديثة ، باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، وكان العاملون في المكتب يومذاك يُدركون أنهم يُسابقون الزمن ، فهذه المصطلحات العلمية والفنيّة « تزداد بمعدَّل مائة مصطلح جديد في كل يوم » كما جاء في تقريرٍ لليونسكو ، وكانت مجلة المكتب ( اللسان العربي ) تحمل في أعدادها إلى القراء في أقطار العالم العربي نماذج

(١) – انظر معجم المصطلحات الأدب : التمهيد ، ص : XIII

من تلك المعاجم وهي في دور الجمع والتحضير والإعداد ، وتسأل مُوافاة المكتب بآراء العلماء والمختصين فيها.

غير أننا نلاحظ أن مكتب تنسيق التعريب لم ينشط إلى تخصيص معجم للمصطلحات الدبلوماسية والدولية ، فظل العمل في هذا الحقل مقصوراً على أفراد من العلماء العاملين فيه ، وكلهم من السوريّين ، من ذوي الاختصاص في هذا المجال ، وهذا عرض سريع موجز لثمرة جهودهم :

١ - المصطلحات الدبلوماسية في الإنكليزية والعربية : للدكتور مأمون الحموي ، وهو معجمٌ صغير لا تتجاوز صفحاته الستين ، صدر في دمشق في عام ١٩٤٩ ، ويُعدُّ المحاولة الأولى لتصنيف معجم للمصطلحات الدبلوماسية ، والمصنِّف رائد في هذا المجال ، وله أيضاً كتاب رائد في الدبلوماسية ، صدر في دمشق قبل صدور معجمه بسنتين[٢] ، لِيُلبّي حاجة السلك الدبلوماسي في سورية ، في السنوات الأولى من تكوينه ، بعد حصول هذا القطر العربي على استقلاله وجلاءِ المحتل عن أرضه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ - معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية ( انكليزي - فرنسي - عربي ) للدكتور سموحي فوق العادة ، وهو معجم شاملٌ وافٍ صدر في عام ١٩٧٤ بعد رُبع قرن من صدور معجم الدكتور الحموي ، ليكون حلقة من حلقات سلسلة المعاجم الاختصاصية الصادرة باللغات الثلاث عن مكتبة لبنان ، التي نوّهنا بها قبل قليل ، ومصنِّف هذا المعجم ذو باع طويل في حقل الدبلوماسية تأليفاً ومُمارسة ، وكان قد ذيَّل بعض كتبه منذ عام ١٩٤٧ بترجمة بعض المفردات والمصطلحات الدبلوماسية باللغات الثلاث ، إلى أن تمَّ له تصنيف معجمه الذي جمع فيه - أو نثر فيه - خلاصة دراساته وتجارب حياته المسلكية في الدبلوماسية والمراسم ، على مدى خمسة وعشرين

(٢) - انظر كتاب الدبلوماسية للدكتور مأمون الحموي - المطبعة الأهلية بدمشق : ١٩٤٧ .

عاماً ، وحُقَّ له أن يفخر في مقدمة معجمه بأنّ « هذا المعجم هو المؤلَّف الأول من نوعه في اللغة العربية » ولا نحسب أن في هذا القول مباهاةً بغير الحق ، فالمقارنة بين معجم الحموي الصغير وهذا المعجم الكبير الجامع تظهر المدى الواسع بينهما ، فقد خطا التصنيف المعجمي في مجال الدبلوماسية والشؤون الدولية خلال ربع القرن خطواتٍ فِساحاً ، تجعل من معجم الدكتور سموحي عملاً جليلاً مستوفياً يستحق صاحبه بالغ التقدير والتنويه .

٣ – ونصل هنا إلى الخطوة التالية ( المرحلة الثالثة ) في تطوير التصنيف في ( المعجم الدبلوماسي ) وقد نهض بها واحدٌ من قُدامى العاملين في الدبلوماسية السورية بصدور معجمه الموسوعي الوثائقي حديثاً عن دار طلاس بدمشق ، فأضاف به إلى جهود من سبقوه لبنةً في بناء صرح المؤلفات السياسية والقانونية والدولية وترجمة المصطلحات والمفردات الدبلوماسية والدولية . وهي إضافة متميزةٌ وملحوظةٌ ، تُقدّمها تلك الشروح الضافية لما يُقارب الأربعمائة من المصطلحات ، وتُدْعمها تلك الشواهد من النماذج عن المذكرات والمفكرات والمواثيق لعددٍ وافر من المفردات والمصطلحات ، فالمعجم الجديد بطابعه الموسوعي والوثائقي قفزة موفقةٌ ومحمودة لتطوير التصنيف في المعجم الدبلوماسي العربي ، ويرى فيها صاحبها محاولة أولى يرجو أن يوفّق في المستقبل القريب إلى إغنائها ، ليجعل من تلك الشروح « نواة لموسوعةٍ دبلوماسية ودولية عربية شاملة » وإذا تمّ له ذلك بعونٍ من الله وتوفيقٍ منه تحقق على يديه أملٌ كبيرٌ « طالما تاقت المكتبة العربية والاختصاصية إلى تحقيقه » كما يقول المصنف في تمهيده لمعجمه الموسوعي والوثائقي المختصر[٣] .

والدكتور زكريا السباهي مصنّف هذا المعجم الجديد مؤهّل خير تأهيل لإعداد معجمه والشروح الضافية والمعمّقة التي تضمّنها : فهو ذو ثقافة

(٣) – المعجم الموسوعي : ص ١٦ .

حقوقية متمكّنة ، بدأت قبل أربعين عاماً في دراساته الجامعية والعليا في دمشق وباريس ، وتكفّلت له مطالعاته الدائبة باللغات الثلاث التي يُحسنها ( العربية والفرنسية والانكليزية ) بأن يكتنز معرفةً ونُضجاً مع تقدّم العمر ، وهو رجل دبلوماسي له خبرة كبيرة في الدبلوماسية والمؤسسات الدولية ، في عددٍ من العواصم الأجنبية ، وأتاح له عمله أن يُشارك في المؤتمرات واللجان والوكالات الدولية المتخصصة ، فاتّسع أفق معارفه الاختصاصية وخبرته المسلكية والعملية ، وتهيّأ له بعد إحالته إلى التقاعد أن يأوي إلى مكتبته الغنية ، ويتفرّغ لانجاز معجمه ، فأتمّه في خمس سنواتٍ من العمل الصامت الدؤوب المتواصل : يجمع المفردات والمصطلحات ، ويراجع الموسوعات المختلفة والمصادر والوثائق والاتفاقيات الدولية الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها ، ليُضفي على شروحه لتلك المصطلحات طابعها الموسوعي المدعوم بالإحصاءات الدقيقة والتواريخ الموثّقة ، وليتمكّن بذلك من أن « يُغني مكتبتنا العربية ، ويسدّ فراغاً طالما احتاج إليه الدبلوماسيون والدارسون والأساتذة والصحفيون ، وكلُّ من أراد أن يقرأ أو يُطالع أو يُحاضر في موضوعٍ له مساسٌ بالعلاقات الدولية ، وبالحياة السياسية والدبلوماسية » كما يقول الأستاذ عبد الله فكري الخاني في تقديمه هذا المعجم إلى القرّاء[٤] ، وكما يشهد شاهدٌ آخر هو الدكتور شاكر مصطفى في رسالته إلى المصنّف بأنّ معجمه « عملٌ مثمر ، عملٌ باق للأجيال الدبلوماسية المقبلة ، لا في سورية ، ولكن في الوطن العربي كله ، فالحاجة إليه قائمة بكل مكان »[٥] .

ولهاتين الشهادتين من عَلَمين ، لكل منهما خبرته الواسعة وعمله الطويل والمتميّز في السلك الدبلوماسي ، ومكانته العلمية والأدبية المعروفة ،

(٤) – المعجم الموسوعي : ص ١٢ .

(٥) – المعجم الموسوعي : ص ٨ .

قيمةٌ خالصة لا يشوبها ميلٌ إلى مجاملةٍ ، ولا يعدل بها عن صريح الحقّ هوىً ، فهذا المعجم الموسوعي المختصر الفريد عملٌ بالغ الأهمية ، وخدمةٌ للعربية جليلة وثمينة ، ويحق لصاحبه أن يفخر به ، ولئن كان تواضع العالم يدفعه إلى تذكير القرّاء بكلمة للدكتور جنسن ، يضعها في مقدمة المعجم(٦) ، ويقول فيها : « يتوق كُلُّ من يؤلّف كتاباً إلى المديح ، أمّا من يُصنّف معجماً فحسبه أن ينجو من اللوم !» إنّه لحقٌّ أن مصنّف هذا المعجم المختصر المفيد جدير بالثناء الوافي على حُسن صنيعه ، وهو ثناء خالص لا تخالطه مؤاخذةٌ ولا يشوبه لومٌ ، وأمّا ما نُبديه بعد ذلك من ملاحظات نقدية ، وما قد نذكره فيها من هناتٍ ، فليس ما نفعل من قبيل المؤاخذة أو اللوم للمصنف أو الحطّ من قيمة عمله ومجهوده ، ولنذكر أن الكمال لله وحده ، وقديماً قالوا : « لاتعدم الحسناءُ ذاماً » فلعلّ المصنّف في حرصه على تنقية معجمه من تلك الهنات الطفيفة يعمد إلى تلافيها وتدارك ما يرى أن يتداركه منها في طبعة ثانية قادمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبودّنا ألا نُطيل في سرد تلك الملاحظات وسنحاول إيجازها في نقاط معدودة تتصل بمنهج المعجم وتصميم نظامه وترتيب فهارسه ومضمون شروح مفرداته ولغة المصنّف وأسلوبه فيها :

١ ـ منهج هذا المعجم الموسوعي محدّد بتقديم المفردات والمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية بالإنكليزية أولاً ، ثم بالفرنسية ، لأهمية هاتين اللغتين في المجتمع الدولي ، ثم بالترجمة العربية عنهما معاً ، وقد التزم المصنف بمنهجه هذا فلم يشذّ عنه إلاّ مرةً واحدةً عمد فيها إلى تخصيص مادة مفردة لعَلَم من الأعلام ، وهو السيد خافير بيريز دي كويلار ، الأمين العام الحالي للأمم المتحدة ، وكان على المصنف ألا يفعل ، وأن يقصر موادَّ معجمه على المفردات والمصطلحات ، والأعلامُ الشخصية ليست منها ،

(٦) ـ المعجم الموسوعي : ص٩ .

وكان بوسعه أن ينقل ما ذكره في شرح هذه المادة المستقلة ( ص : ١٠٣ ) إلى مادة ( السكرتير العام للأمم المتحدة ) ( ص : ٢٧٣ ) التي لم يأت بشرح لها ، ليستقيم له منهجه العام الذي يقوم عليه هيكل معجمه كله .

٢ – في تصميم المصنف لنظام معجمه كان عليه أن يعمد إلى ترقيم المفردات والمصطلحات المشروحة ، وهي قرابة الأربعمائة ، بأرقام صغيرة خاصة متسلسلة ، ليوفّر على نفسه وعلى ناشري معجمه وعلى قراء كتابه بذل المزيد من الجهد والوقت المهدور ، ذلك أن الإحالات تكثر في المعجم في المواد المشروحة على مواد أخرى فيه ، لصلتها بها ، وتلك وسيلة لا غنى عنها للربط بين المفردات والمصطلحات ، وعدم التكرار في إيراد الجوانب المشتركة في شروحها ، وتطول أحياناً تلك الإحالات الموضوعة بين قوسين ، ومثالٌ لها هذه الإحالة الواردة في ( ص : ٩٠ ) :

( راجع أيضاً عبارة معاهدة التسوية النهائية للحرب الثانية :
Second World War Final Settlement Treaty
بسبب صلتها بالموضوع ) .

ولو كانت المفردات والمصطلحات المشروحة مرقّمة ، وكان رقم معاهدة التسوية : ١١٠ مثلاً ، لاستغنى المصنف عن إيراد الأسطر الثلاثة بقوله : ( راجع : ١١٠ ) فوفّر بذلك ويَسَّر ؛ وقد يقع اضطراب في بعض تلك الإحالات ( كما في الصفحة : ١٠٢ ) :

( انظر الشرح المتعلّق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان :
(International Decloration of Human Rights

فإذا بحث القارئ عن المصطلح الإنكليزي في باب الحرف (I) لم يجد ما يطلبه ، لأن الإحالة لم تكن دقيقة ، فالمصطلح الإنكليزي لذلك الإعلان العالمي هو : (Universal Declaration ...)

والبحث عنه يتم في باب الحرف (U) في ( ص : ٣٠٨ ) وكان ترقيم

الغربية وذلك ما تقتضيه طبيعة موضوعاتها ، ولكننا نقع الحين والحين على أثر للتراث العربي والإسلامي فيها : كالحديث عن جذور الاشتراكية في الإسلام ( ص : ٢٨٠ ) والحديث عن السياسة والمؤلفات العربية فيها ( ص : ٢٣٨ ) والحديث عن المخطوطات العربية في الأندلس ( ص : ٣١٩ ) والحديث عن السفارات والبعثات الإسلامية إلى البلدان الأجنبية ( ص : ٣٢ ) والحديث عن التقاليد الدبلوماسية الإسلامية في مصر والمغرب ( ص : ١١٧ ) إلخ ..

ولنا أن نأمل من المصنّف أن يعمل على إغناء الأثر التراثي في شروح المفردات في موسوعته الدبلوماسية والدولية العربية الشاملة المنتظرة ، ويستفيد فيها من كتب التراث الكثيرة المؤلفة في السياسة والأحكام السلطانية والرسوم الخلافية ، وأهمها أو أهمّ ما طُبع منها :

أ – التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ ( أو المنسوب إليه ) .
ب – الأحكام السلطانية : للماوردي .
ج – رسوم دار الخلافة : لهلال الصابئ .
د – سراج الملوك : للطرطوشي .
هـ – رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة : لابن الفراء .
و – سلوك المالك في تدبير الممالك : لابن أبي الربيع .
ز – المنهج المسلوك في سياسة الملوك : للشيخ عبد الرحمن بن نصر .
ح – كتاب في السياسة : للوزير المغربي .
ط – واسطة السلوك في سياسة الملوك : لابن زيان العبدوادي إلخ ..

وسيقع في الكتب التراثية الموسوعية على كثير مما يهم موضوعاته وشروحه من أمثال : كتاب الأغاني – ورسائل إخوان الصفا – ومقدمة ابن خلدون – وصبح الأعشى للقلقشندي إلخ .. كما سيجد في كتاب المستشرق آدم متز عن ( الحضارة الإسلامية في القرن الهجري الرابع )

ما يفيد موضوعاته ، وبذلك يوفّى التراث حقه في الموسوعة الشاملة الموعودة !

أما المعجم الموسوعي المختصر فحظ التراث فيه ليس بذاك : ففي شرحه لمصطلح ( سفير متجول ) ص : ٣٦ – ٣٧ لا نجد إشارة إلى الرحلات السفارية الإسلامية في المشرق والمغرب ، مثل ( رحلة ابن فضلان ) ، و( رحلة محمد بن عثمان المكناسي ) ، وهما مطبوعتان في دمشق والمغرب(١٠) ، وفي شرحه لمصطلح ( المراسم ) ص : ٢٨٤ لا نجد إشارة إلى ( رسوم دار الخلافة ) أو إلى ( كتاب التاج ) وهما مطبوعان في بغداد والقاهرة(١١) ،

ولعلّ الموسوعة الشاملة المنتظرة تنهض بما لم تستطع الموسوعة المختصرة أن تنهض به .

٥ – عند نظرتنا إلى لغة المصنف وأسلوبه في صياغة شروحه للمفردات والمصطلحات تطالعنا تلك العفوية التي تتدفق تدفقاً سهلاً في التعبير والتي تؤثر الرصانة والمنطق والوضوح واللفظ المتداول المشهور ، ولا تحسب لتكلّف الجزالة ، أو لتحرّي السلامة اللغوية أحياناً ، حساباً ، والمصنفُ يعترف في تمهيده للمعجم بأنه من أنصار المقولة السائدة في التعامل الدبلوماسي والتخاطب الدولي التي تقول « إنّ الخطأ المشهور خيرٌ من الصحيح المهجور » ( ص : ١٥ ) والحق أنه يقول هذا في صدد إبقائه على ترجمة مشهورة لبعض المصطلحات « مغايرة بعض الشيء للترجمة الصحيحة » ولكن قوله هنا ينطبق على أخذه بتلك المقولة في أسلوبه ، مثل

---

(١٠) – رحلة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامي الدهان ( مطبوعات المجمع ) ، والاكسير في فكاك الأسير بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي ( المغرب : ١٩٦٥ ) .

(١١) – رسوم دار الخلافة للصابئ بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد ( بغداد : ١٩٦٤ ) ، والتاج في أخلاق الملوك للجاحظ بتحقيق أحمد زكي ( باشا ) ( القاهرة : ١٩١٤ ) .

استعماله بعض المفردات العربية بمعانٍ خاطئة ، ولكنها مشهورة ومتداولة ، فالكفاءة هي الكفاية عنده حيثما وردت في المعجم[١٢] وإن أصرت الفصحى على أنها لا تعني إلا التساوي والتماثل ، والفعل ( تواجد ) للوجود عنده وليس لإظهار الوجد[١٣] ، والفعل ( صَدَف ) لمعنى صادف[١٤] وإن تكن الفصحى تجعله بمعنى أعرض وانصرف إلخ ..

وهذا الإيثار للخطأ المشهور ظاهرة عمّت في أساليب الكتّاب ، وغدت في نظر كثير منهم لا تستحق أن يقف النقد عندها ؛ فلندعها إذاً لنقف عند بعض الأخطاء النحوية واللغوية التي سها القلم عن تصحيحها ، ولعلّ بعضها من قبيل التطبيعات التي لا يخلو كتابٌ مطبوع من أمثالها ، وسنكتفي بإيراد نماذج منها ، يُغني ذكرها عن غيرها :

فمن السهو في تخطي القواعد النحوية :

أ ـ من معاني .. وأماني : معانٍ وأمانٍ ( ص : ١١ )

ب ـ بذلاها صديقاي : بذلها صديقاي ( ص : ١٦ )

ج ـ ويُسمّون مندوبون متعقبون : مندوبين .. ( ص : ٦٨ )

د ـ أعطوا معانٍ : معانيَ ( ص : ٧٤ )

هـ ـ قد يكونوا : يكونون ( ص : ٢٥١ )

إلخ ...

ومن السهو في صحة كتابة العدد والمعدود :

أ ـ كلمات ثلاثة : ثلاث ( ص : ٥٩ )

---

(١٢) ـ انظر الصفحات : ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٩٨ ـ ١٠٣ ـ ١٢٨ ـ ١٤٤ ـ ٢٧٦ ـ ٢٩٣ .

(١٣) ـ انظر الصفحات : ٦٧ ـ ٧٢ ـ ١٠٥ ـ ١١١ ـ ٢١٥ ـ ٢٣٩ ـ ٢٦١ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩٣ ـ ٣١١ .

(١٤) ـ انظر الصفحات : ٢٤ ـ ٦٣ ـ ٧٠ ـ ١٠٥ ـ ١١٣ إلخ ...

ب – الأعوام العشر : العشرة (ص : ١٩٣)

ج – على أحد الروابي : على إحدى.. (ص : ٢٣٩)

د – الرمح الواحدة : الواحد (ص : ٢٧٩)

هـ – ثلاث طوابق : ثلاثة (ص : ٣٢٨)

إلخ ...

ومن السهو في استعمال حرف الجر المناسب :

أ – عطفاً عن الاتفاقية : على (ص : ٥٩)

ب – المساعدة لانتشار : على انتشار (ص : ٦٠)

ج – ناهز على الأربعين : ناهز الأربعين (ص : ٨٤)

د – أكّد على الشيء : أكّد الشيء (ص : ٨٩)

هـ – تعاون السلطات بعضها بعض : مع بعض (ص : ١٠٥)

إلخ ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه أمثلة للأخطاء اللغوية الأخرى :

أ – وكانت عضوة في مجلس الكونغرس : عضواً (ص : ٧٢)

( فالعضو اسم مذكر يستعمل على سبيل الاستعارة ، وليس صفةً ، فلا يصح تأنيثه ! )

ب – إملاء الشواغر : ملء الشواغر (ص: ٧٢–٨٨–١٠٣–١٢٨– ٢٣٧) ( من الفعل الثلاثي : ملأ )

ج – ولربّانيها : لربابنتها أو لربابينها (ص : ٩٣)

(لأنها جمع رُبّان وهو قائد السفينة )

د – الأفعال المُشينة : الشائنة (ص : ١٠٥)

( من الفعل الثلاثي : شان )

هـ – دمج كلا المؤسستين : كلتا (ص : ١٤٧)

( لتأنيث المؤسسة )

و – وكلما ازداد.. كلما تعبَّد : تعبّد (ص : ١٧٤)
(كلما لا تتكرّر ، فيجب حذف الثانية)

ز – والسوّاح : والسُّيّاح (ص : ٣٠٥)
(من الفعل ساح يسيح (لايسوح)

وأمثلة لبعض الأخطاء الإملائية :

أ – رُؤى : رُئِيَ (ص: ٧٩-١٩٣-٣١٥)

ب – زاد عنه (دافع) : ذاد (ص : ١٠٤)

ونقع الحين والحين على ركاكة في صياغة بعض الجمل التي تتكرّر غير ما مرة ، من أمثال : (الأمر الذي .. كما وتشارك .. كما وأنّ .. فيما إذا كان إلخ ...) كما نقع على بعض الجمل المضطربة لطولها أو لنقص كلمة ساقطة منها (كما في الصفحات : ٨٨ – ٢١٠ – ٢٣٨ إلخ ...).

وهذه الهنات وأمثالها يمكن تلافيها بيسر وسهولة في طبعة للمعجم قادمة .

ومن الإنصاف في خاتمة هذه الجولة النقدية في صفحات هذا المعجم الفريد النفيس أن نُقرَّ بأن تلك الهنات كلها لا تحط من قيمة هذا الأثر الجليل الذي استفرغ فيه الدكتور السباهي غاية مجهوده ، بسخاء متواصل ، فظل يلاحق آخر المعلومات ، والمعجم في المطبعة ، ليضيف إلى شروحه ما يطرأ على الأحداث الدولية من تطورات ، فنقرأ في (ص : ١٩٢) مثلاً : «علم المؤلف والمعجم على الطابع أن لجنة عربية مشتركة إلخ .. » ونجد في آخر المعجم ملحقاً (الملحق الثامن) تمّ ضمه إلى المعجم بعد الانتهاء من طبعه ، فظلت صفحاته الخمس لذلك من غير ترقيم ، وقد لخص المصنف فيه آخر ما انتهت إليه أزمة الخليج مع مجموعة الوثائق والقرارات الدولية والبيانات العربية والإسلامية الصادرة بشأنها ، وقد التزم

المصنف في شروحه للمذاهب والاتجاهات المختلفة الموضوعية الكاملة بنزاهة مفكّر حُرّ وعدالة مؤرّخ منصف ، ودلّل في تعريبه للمصطلحات على ذوق أدبي وحسٍّ نقدي نام لديه ، ولهذا كله يطيب لنا أن نُنوّه بفضل صاحب هذا المعجم الموسوعي القيّم ، وأن ندعو الله أن يمدّ في حياته ويُعينه على إنجاز تلك الموسوعة الشاملة لمصطلحات الدبلوماسية والشؤون السياسية والعلاقات الدولية التي وعد بتصنيفها ، وإذا تمّ له ما يأمله منها يكون قد قدّم للعربية خدمة ، وحقق بذلك لنفسه المجد والخلود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# المستدرك على شعر أبي هلال العسكري

الدكتور حاتم صالح الضامن

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الذي كان حيّاً سنة ٣٩٥هـ ، من الأعلام المشهورين ، والمؤلفين الأثبات ، له مؤلفات كثيرة نشر منها نحو تسعة كتب ، وله مؤلفات أخرى ما زالت مخطوطة(*) .

وكان أبو هلال شاعراً ، له ديوان شعر لم يصل إلينا . وقد تصدّى لجمع شعره ، المنثور في مؤلفاته أولاً ، وفي الكتب الأخرى ثانياً ، الدكتور محسن غياض ، وطبعه ببيروت سنة ١٩٧٥ تحت عنوان : ( شعر أبي هلال العسكري ) ، ووقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة ، اعتمد المؤلف في جمعه على ثمانية وأربعين مصدراً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبلغ مجموع ما جمعه الدكتور محسن غياض ١٥٧٨ بيتاً .

وفي عام ١٩٧٩ صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق كتاب بعنوان ( ديوان العسكري ) ، جمعه وحققه الدكتور جورج قنازع ، وقد وافاني به مشكوراً أخي الاستاذ عبد الإله نبهان .

وقد جاء الديوان في ٢٥٦ صفحة ، اعتمد فيه المؤلف على ستة وأربعين مصدراً وضم الديوان زهاء ١٦٠٠ بيت .

(*) ينظر عن حياته ومؤلفاته :
أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : لبدوي طبانة .
أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : لعلي كاظم مشري .

ومن اللافت للنظر حقّاً أنّ هذه الطبعة أغفلت نشرة الدكتور محسن غياض إغفالاً تاماً، على رغم أنّها صدرت قبلها بخمس سنوات، ورغم اشتراكهما في جمع أكثر شعر العسكري، والمصادر هي هي تقريباً في النشرتين.

وقد عوّدنا مجمع اللغة العربية بدمشق على الإشارة إلى كلّ ما طُبع سابقاً في أول الكتاب كما حدث في شعر ابن ميادة، إلا اننا لم نقف على شيء من ذلك في ديوان العسكري.

وعند مقابلتي لديوان العسكري للدكتور جورج قنازع بشعر أبي هلال العسكري للدكتور محسن غياض تبيّن لي أنّ سبعة وأربعين بيتاً وقف عليها الدكتور قنازع من مؤلفات العسكري المخطوطة أخلّت بها طبعة الدكتور محسن غياض، وهذه الأبيات موزعة على الوجه الآتي:

قافية الهمزة: بيتان.

قافية الباء: أربعة أبيات

قافية الدال: بيتان.

قافية الراء: بيتان.

قافية السين: خمسة أبيات.

قافية الظاء: ثلاثة أبيات.

قافية العين: بيتان.

قافية القاف: خمسة أبيات.

قافية الكاف: خمسة أبيات.

قافية اللام: ستة أبيات.

قافية الميم: خمسة أبيات.

قافية النون: ستة أبيات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالمقابل فقد أُخَلّت طبعة دمشق بنحو خمسة وعشرين بيتاً جاءت في مؤلفات العسكري ، ولكنّها فاتت المؤلف ، وهي موجودة في طبعة بيروت .

إنّ الباحثين الكريمين بذلا جهداً كبيراً يُشكران عليه ، ومع ما بذلاه من جهد في تتبع أشعار العسكري فقد فاتتهم أبيات كثيرة وقفتُ عليها في مخطوطة ( الدر الفريد وبيت القصيد ) لمحمد بن ايدمر المتوفّى سنة ٧١٠هـ .

ومجموع الأبيات المستدركة على نَشْرَتَي ديوانه بلغت ستة وتسعين بيتاً موزعة على الوجه الآتي :

قافية الباء : عشرة أبيات .

قافية الجيم : بيتان .

قافية الحاء : بيتان .

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : خمسة عشر بيتاً .

قافية الضاد : أربعة أبيات .

قافية الطاء : بيتان .

قافية اللام : عشرة أبيات .

قافية الميم : أربعة وثلاثون بيتاً .

قافية الألف اللينة : خمسة عشر بيتاً .

وبعد فأرجو أنْ يكون عملي هذا نافعاً عند إعادة طبع شعر أبي هلال العسكري ، وأزجي تحياتي إلى الباحثين الكريمين الدكتور محسن غياض والدكتور جورج قنازع والحمد لله أوّلاً وآخِرًا ، إنّه نِعْمَ المولى ونعم النصير .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

## قافية الباء

(١)

١ - نـاسٌ وإنْ عـامَلْتَهُـمْ فذِئابٌ وإذا طَـلَبْتَ نـوالَهُمْ فكِـلابُ
٢ - وإذا اعتَبَرْتَ عقولَهُمْ ألْفَيْتَهُمْ بَقَـراً ولكـنْ مـا لهـا أذْنـابُ
(الدر الفريد ١٦٠/٥)

(٢)

١ - ومَنْ يطـلبْ مسـاءَةَ عائِبيهِ فلا يَسْلُكْ مسالكَ مَنْ يُعابُ
(الدر الفريد ٣٣٧/٥)

(٣)

١ - ألَمْ تسـمعْ مقـالتَهُـمْ قديمـاً «سيبقى الوِدُّ ما بَقِيَ العتابُ»
(الدر الفريد ٢٣٨/٢)

(٤)

١ - أراكَ مـا تتوخى نُصْحَهـا أبداً إذْ قـد تُـرَغِّبُهـا فيا يُرَهِّبُهـا
(الدر الفريد ١٠١/٢)

وهو مع ثلاثة أبيات جاءت في شعره المجموع : بيروت ص٦٣ ، دمشق ص٦٠ - ٦١ . والبيت في أعلاه هو الثاني من الأبيات الأربعة .

(٥)

١ - وإذا اعتبَـرْتَ عقـولَهُـمْ ألْفَيْتَهُم بَقَراً بـلا أذْنـابِ[1]
(الدر الفريد ٢٠١/٥)

(١) [ هكذا جاء البيت في مخطوطة الدر الفريد ، وهو مختل الوزن ، وانظر البيت الثاني من التتفة رقم (١) السابقة/المجلة ] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦)

١ – تَعَلَّمْ ما جَهِلْتَ تَعِشْ حميداً وقَيِّدْ ما تَعَلَّمُ بالكتابِ
٢ – وزِدْ في شَكْلِ ما قَيَّدْتَ منه وإلاّ نَدَّ عن عقلِ الصوابِ

( الدر الفريد ١٥١/٣)

(٧)

١ – عَصَيْتموني حينَ طاوعتُكُم والذَّنْبُ في عصيانِكُمْ ذنبي
٢ – داويتكُمْ حيناً فأبْطَرْتكمْ وليس للغَيْرِ سوى الضَّرْبِ
٣ – أقْسِمُ لا داريتُكُمْ بَعْدَها لكنْ أُداري دونَكُمْ قلبي

( الدر الفريد ٨١/٤)

جاء البيت الثاني فقط في مجموعي شعره : بيروت ٧١ ، دمشق ٧٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## قافية الجيم

(٨)

١ – تَصَبَّرْ فما المكروهُ ضَرْبَةَ لازبٍ سَتنكشفُ البلوى ويَتَّسِعُ الحَرَجْ
٢ – ولا تشكونَّ اليومَ قبلَ انقضائِهِ فمِنْ ساعةٍ منه إلى ساعةٍ فَرَجْ

( الدر الفريد ١٣٩/٣)

## قافية الحاء

(٩)

١ – أَخُو الإعدامِ لا حَيٌّ يُرَجَّى ولا مَيْتٌ يُريحُ ويَسْتَريحُ
٢ – أرى الخيراتِ في الدنيا كثيراً ومنها في يدِ الفُقَراءِ رِيحُ

( الدر الفريد ٢٥٨/١)

## قافية الدال

(١٠)

١ – إذا خالفَ القولُ الفِعالَ فإنَّهُ لَعمري هباءٌ لا يُفيدُ ولا يُجْدِي
٢ – فلا مَرْحَباً بالخِلِّ يُبْدِي ليَ الهوى وأفعالُهُ تُومي إلى غيرِ ما يُبدِي

(الدر الفريد ٣١٧/١)

## قافية الراء

(١١)

١ – قالوا صَبَرْتَ وما صَبَرْتُ جلادةً لكنْ لِقِلَّةِ حِيلتي أتَصَبَّرُ
٢ – لا تَنْهَني عنهم فتُغرِيَني بهم فلرُبَّما يَنْهى العذولُ فيأمُرُ
٣ – أنا عبدُ مَنْ أهوى ومملوكُ الهوى ولوَ انّني سابورُ أوإسكَنْدَرُ
٤ – ليسَ التكبُّرُ شيمةً لأخي الهوى ومن العجائبِ عاشقٌ مُتَكبِّرُ

(الدر الفريد ٢٩٤/٤ و١٧/٥، الثالث فقط في ٢٨٤/٢)

(١٢)

١ – هــذِهِ دَوْلَةٌ تـدولُ لأشـرا رِ وتَنْبُـو عن خِـيرَةِ أبْـرارِ
٢ – وزمـانٌ فَقَـدْتُـهُ من زمـانٍ قد طوى خيرَه عن الأخيارِ
٣ – يا لئيمَ النّجار عِشْ في نَعيمٍ ودَعِ البؤْسَ للكريمِ النّجارِ
٤ – عِشْ كما شِئْتَ فالزمانُ حمارٌ ليسَ يصفـو إلا لكـلِّ حمارِ

(الدر الفـريد ٣٦٥/٥، الثـالث فقط في ٤٧٠/٥٠، الرابع فقط في ٨٠/٤)

(١٣)

١ – لا تقطعِ البِـرَّ إنَّ قَطْعَكَـهُ يقطعُ مـا تستحقُّ مِن شُكْرِ
٢ – مَنْ صـنـعَ البِـرَّ ثم تَبَّـرَهُ عَـرَّضَـهُ للجحـودِ والكُفْرِ

٣ - والعُـرْفُ إنْ لم تكنْ تُتَمِّمُـهُ صـارَ قريبَ المعنى من النُّكْرِ
( الدر الفـريد ٤٢٤/٥ ، الثـاني فقط في ١٣٤/٥ ، الثـالث فقط في ٢٢١/٢)

(١٤)

١ - قـد رُفِعَتْ أُلْوِيـةُ الغَـدْرِ وسُدَّ بابُ الفَضْـلِ والشكْرِ
٢ - وآيـةُ الإحسـانِ منسـوخَةٌ قدْ أُسْقِطَتْ من صُحُفِ الدَّهْرِ
٣ - لا تَطْـلُبِ الخَيْـرَ ولا تَرْجُهُ فـإنَّ هـذي دولةُ الشَّـرِّ
٤ - سَـمِعْتُ بـالحُرِّ ولم أَلْقَـهُ يـا طولَ أَشـواقي إلى الحُرِّ
( الدر الفريد ٣٦٦/٣ و٤١٧/٥)

قافية الضاد

(١٥)

١ - ألاَ ليس في الإعـدامِ عـارٌ على الفتى
ولكِنْ أَشَـدُّ العـارِ في دَنَسِ العِرْضِ
٢ - ومـا طُولُ عُمْري أنْ يطولَ به المدى
ولكـنّـهُ طـولُ المَسَـرَّةِ والخَفْضِ
٣ - ومـا المَيْتُ إلاّ كلّ من مـاتَ ذِكْرُهُ
وماتَ عن الإسعافِ بالقَرْضِ والفَرْضِ
٤ - يُفَـرِّحُـني مَـرُّ الزمـانِ وكُلّمـا
مضى بعضُ أيـامِ الزمـانِ مضى بَعْضي
( الدر الفريد ٣٥/٣)

قافية الطاء

(١٦)

١ - أَهُزُّكُمْ بـأشـعـاري وأنْتُـم جَمَـادٌ لا تهزُّكُمُ السيـاطُ

٢ - هي البيضُ تثني البيضَ غيرَ صوارمٍ
وهُنّ إذا ما ساعَدَتْها صوارِمُ
٣ - ويا رُبَّما تأتي السيوفُ حواكِماً عليكَ فتأتي وهْيَ فيها حواكِمُ
٤ - تُحاكي نجومَ الليلِ فِعْلاً وخِلْقَةً فهُنّ صغارٌ في العيون أعاظِمُ
٥ - تقومُ إذا ما الحادِثات تشاجَرَتْ فتُقْعِدُ منها كلَّ ما هو قائِمُ
٦ - فمانِعُها إلاّ عن الحقِّ عارِفٌ ومُؤْثِرُها إلاّ على الحَمْدِ عالِمُ
٧ - فأَعْدِدْ لجُرحِ الحادِثات دراهماً فهُنّ لجُرحِ الحادثاتِ مراهِمُ
٨ - وعَوِّذْ بها الحاجاتِ تنفِ شِماسَها
فإنَّ بها جنّاً وهُنَّ تمائِمُ
٩ - بها تُدْفَعُ البلوى وتُدْرَكُ المنى وتُكْتَسَبُ العُليا وتُبْنى المكارِمُ
( الدر الفريد ٢٦٠/٣ ، البيت التاسع في ٩٢/٣)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٠)

١ - إنْ كان من حقِّ المـودَّةِ في الهـوى
أنْ تَصْرِموا حَبْلَ التواصُلِ فاصْرِموا
٢ - ضَيَّعْتَ حقَّ تَحَرّمي بودادِكُمْ غُرَّ امرؤٌ بودادِكُمْ يتحرَّمُ
٣ - وظلمتني وزعمتَ أنّي ظالِمٌ ومن العجائبِ ظالِمٌ مُتَظَلِّمُ
٤ - فلأَبْعُدَنْ منكمْ وبالي كاسِفٌ ولأَصْبِرَنْ عنكمْ وأنفي مُرْغَمُ
٥ - ولو استطعتُ جزيتكم بفعالِكمْ لكنّني لا أستطيعُ فأكظِمُ
٦ - ولعلَّ دائرةَ الزمانِ تدورُ لي حتى تعودَ إلى التي هي أقومُ
( الدر الفريد ٢٨٦/٥ ، الأول في ٣١٦/٢ ، الثاني في ٤٣/٤)

(٢١)

١ - سلامٌ وإنْ كانَ السلامُ تحيَّةً
فوجهُكَ دونَ الردِّ يكفي المُسَلِّما
( الدر الفريد ٣٧٢/٣)

وجاء في حاشية الدر :

كتب به أبو هلال إلى بعض إخوانه ، يقول : إذا رأى المُسَلِّمُ عليك وجهَكَ فذاكَ يكفيه وإنْ لم تردّ عليه جواب تحيّته ، وذلك على سبيل المبالغة في المدح .

**(٢٢)**

قالَ يمدح الصاحب بن عبّاد :

١ - بَرْقٌ تألّقَ من فتوق غمامِ ومُهنّدٌ يجلو سوادَ قتامِ
٢ - أمْ طَلْعَةُ الملكِ الذي بيمينه سكبُ الغمامِ وصَوْلَةُ الصَّمْصامِ
٣ - يجري فيسبقُ حيثُ تبتدرُ العُلا حتى تراهُ أمامَ كُلِّ إمامِ
٤ - إنْعَمْ صباحاً بالثناء مُحَبَّراً كالروض تمنحه بُكورُ رهامِ
٥ - تلقى السعادة في مراميكَ التي هي للعُلا والمَكْرُماتِ مرامي
٦ - وميامِناً موصولةً بميامِنٍ ودُرُورَ إنْعامٍ على إنعامِ
٧ - وكرامةً مقرونةً بكرامةٍ تُبقي لديكَ الدهرَ دارَ مَقَامِ
٨ - ما زالَ كفُّكَ يستثيرُ مآثراً ما بينَ أسْيافٍ إلى أقْلامِ
٩ - قد جَلَّ قدرُك أنْ يُقاسَ بك امرؤٌ ما كلُّ مصقولِ الظُبا بحُسامِ
١٠- يمشي به فوقَ الترابِ تواضُعٌ وبه العُلى تختالُ فوقَ الهامِ
١١- أخلاقُ غَيْثٍ في شمائل صارمٍ وثباتُ طَوْدٍ في مَضاءِ سِهامِ
١٢- ومكارمٌ كغمائمٍ وعزائمٌ كصوارمٍ وشمائلٌ كمُدامِ
١٣- وفضائلٌ غُرُّ الوجوه شهيرةٌ يحكينَ أعلاماً على أعلامِ
١٤- لُقِّيتَ في العيدِ الجديدِ سعادةً تبقى بشاشتُها على الأيّامِ
- [ وبقيتَ مرفوعَ المحلّ مكرماً في غبطةٍ وكرامةٍ وسلامِ ]
١٥- فانعَمْ به وبما يجيءُ وراءَه من سائرِ الأيّامِ والأعوامِ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

( الدر الفريد ١/٢٦٠ ، الرابع في ٢/٣١٠ ، الخامس في ٣/١٦٣ ، التاسع في ٤/٣٠١)

**(٢٣)**

١ – قَدْ خَصَصْتُ اللبيبَ بالإكرامِ  وتهاونتُ بالجهولِ العَبَامِ
٢ – إنّما تكرمُ الرجالُ على الأحـ  لامِ والفضلِ لا على الأجسامِ
٣ – ولوَ انّ الإكرامَ يُدرك بالأجـ  ـسام كانَ الإكرامُ للأنعامِ

( الدر الفريد ٢/٣٦٤)

## قافية الألف اللينة

**(٢٤)**

١ – وصاحبُ الحاجاتِ مَنْ يجفو الكرى
ويركبُ الهولَ إذا الجِبْسُ التَوَى
٢ – أرَى الفتى تغرُّهُ صِحّتُهُ  وإنّما الصِحّةُ رَهْنٌ بالضّنَا
٣ – يرجو لِيانَ العيشِ وهْو داؤُهُ  ورُبَّ راجٍ خافَ من حيثُ رَجَا
٤ – قد فَضَلَتْ آمالُهُ عن عُمْرِهِ  فهُنَّ لا تفنى ويُفْنِينَ الفَتَى
٥ – بنى الحصونَ حذراً من العِدَى  وجِسْمُهُ مشتمِلٌ على العِدَى
٦ – في هذه الآمالِ – ما أعْجَبَها –  عِمارةُ الدنيا وآفاتُ الوَرَى
٧ – يدفعُ أسبابَ الأذى عن نفسه  ورُبَّما جَرَّ الأذى دفعُ الأذى
٨ – يفرحُ بالأيامِ يمرُرْن به  وإنّما هُنَّ سلاليمُ الرَّدَى
٩ – يَغْمِسُ في العصيانِ كفّاً مُلِقَتْ  من نِعَمٍ تكثرُ أعدادَ الحَصَى
١٠ – يُعجِبُهُ نَماءُ ما يملِكُهُ  وهو بنقصانِ الحياةِ ما نَمَى
١١ – ويندبُ الموتى وينسى نفسَهُ  كأنّه مما أتَوْهُ في حِمَى
١٢ – لا يُبْطِرَنّكَ ما ترى من نِعَمٍ  فعن قليلٍ لا ترى ما قد تُرَى
١٣ – كأنّ ما يمضي من الدنيا مضَى  وأنّ ما يأتي من الموت أتَى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤- فارحَلْ إلى الأخرى بزادٍ من تُقىً    فإنّما الزادُ إلى الأخرى التُّقى
١٥- هل ينفعُ العيشُ بغيرِ صِحَّةٍ    أو تكمُلُ الصِحّةُ إلاّ بالغِنَى

( الدر الفريد ٥/٣٧٢ ، الثاني في ٢/١١٤ ، السادس في ٤/٢٨٦ الثالث عشر في ٤/٣٦٦)

## مصادر البحث ومراجعه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : علي كاظم مشري ، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٤ .

- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : بدوي طبانة ، مصر ١٩٥٢ .

- الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن ايدمر ، ت ٧١٠هـ ، مخطوطة مصورة ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ألمانيا ١٩٨٨ - ١٩٨٩ .

- ديوان العسكري : جمع وتحقيق د.جورج قنازع ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩ .

- شعر أبي هلال العسكري : جمع وتحقيق د.محسن غياض ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٥ .

# آراء وأنباء

## استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع

في شهري تشرين الأول والثاني من عام ١٩٩١م تم استقبال السادة الأساتذة :

الدكتور عبد الوهاب حومد .
الأستاذ جورج صدقني .
الدكتور عادل العوا .

في رحاب المدرسة العادلية موئل العلم والعلماء التي تطلع إليها مؤسسو المجمع لتكون مقرّاً له ، لما لها من ماض عريق يزهو على التاريخ ، وأصالة عربية مجيدة في سالف الدهر ، إذ نزل بها أكابر العلماء ، وتردد في أبهائها وقاعاتها ابن خلكان وابن خلدون والتاج السبكي وغيرهم من الأجلاء الذين عمروها وعمرت بهم .

وفي خريف هذا العام حين تخترف الثمار وتؤتي أكلها ، يختار مجمع دمشق هذا المكان الجليل مقر المجمع السابق ليكون مكاناً لاحتفالاته في استقبال أعضائه الجدد .

ويسعد مجلة المجمع أن تنشر على صفحاتها الكلمات التي ألقيت في هذه الاحتفالات وهي غنية بأمارات الترحيب والإكبار التي استقبل بها الأعضاء الزملاء ، مفصحة عن كفاياتهم العلمية التي يتحلون بها والأعمال الجليلة التي اضطلعوا بها :

# حفل استقبال

## الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م ( الدورة المجمعية ١٩٩٠ ـ ١٩٩١م ) الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور شكري فيصل . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٥) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور حومد في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر ١٤١٢هـ/١٦ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحضور وشكرهم على مشاركتهم الاحتفال بالعضو الجديد وهنأ الأستاذ الدكتور حومد بثقة زملائه المجمعيين يعضدهم ويؤازرهم في مسيرتهم لبلوغ العربية مكانتها العالمية السامية .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي نوّه فيها بمزاياه العلمية والخلقية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور شكري فيصل .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل .

# كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

## نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأطيبه ، وأشكر لكم مبادرتكم الخيرة بحضوركم احتفالنا الذي نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وإنها لمناسبة نجدّد بها العزم والتصميم أن نؤدّي حق المجمع علينا ، وأن نتابع رسالته في تعزيز العربية المبينة ، والكشف عن أسرارها وخصائصها ، ومدّ سلطانها لتكون أداة التعبير والبيان في جميع ميادين المعرفة في وطننا العربي الحبيب .

إن اللغة والأمة توأمان لا يفترقان . ومن كلمات هردر : «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين » ، « إن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد » ، « إن قلب الشعب ينبض في لغته »[1] .

ولقد وعت الحكومة العربية التي قامت في دمشق في أعقاب السيطرة العثمانية مكانة اللغة وجليل شأنها في حياة الأمة ، فسعت السعي الحثيث لتعيد للغة العربية شبابها ورُواءها ونصاعتها، بعد أن طال انزواؤها في العهد

---

(١) ما هي القومية لساطع الحصري : ٥٦ .

العثماني . وكان مجمع الخالدين من بواكير مؤسساتها ، أقامته ( في ١٩١٩/٦/٨م )[٢] ليفسح للعربية الميادينَ الرحابَ في شتى فنون المعرفة ، ويدرأ عنها العجمة واللحن فتستقيم على نهجها اللاحب .

ونهض المجمعُ بالمهمة ، أداها على خير ما يكون الأداء ، وبذل أعضاؤه الخالدون الطاقة والوسع ، ليكشفوا عن أساليب العربية وطرائقها في وجوه التعبير وتأدية المعاني . وشاركوا في تعريب التعليم العالي حتى رسخت قدمه في بلاد الشام ، وغدا قدوة ونموذجاً ، وخطُّوا الطريق إلى سيادة العربية في بلدها ، فكانوا النواة الطيبة ، والحبة التي أنبتت سبع سنابل ، فتلاحق بهم مِنْ خلفهم زملاء لهم أسسوا المجامع في القاهرة وبغداد وعمّان ، وتكاتف كبار العلماء الحراص على العربية في أرجاء الوطن العربي ، وتعاونوا جميعاً لتصبح العربية لغة العلم والحياة ، تستجيب لما يراد منها ، وتعبر عن مختلف علوم العصر ، فتجيد التعبير وتحسنه ، إيماناً منهم جميعاً بألا تقدم للأمة ، ولا قوام لها ما لم تصطنع لسانها العربي تفصح به وتبين عن كل ما يتناولُه الفكر ، أو يهجِسُ في النفس والضمير .

وإذا كان لنا أن نغتبط بما قدم العلماء الرواد ، وبما حققته العربية من ازدهار في شتى الميادين فإن الهجمة الشرسة على العربية وبيانها لم تقف ، وإنها لتصطنع أساليب جديدة ، وطرقاً منكرة ملتوية ، فيها الكثير من المكر والكيد والذكاء تتستّر بها ، تريد أن تقضي على هذه اللغة التي ما زالت العاصم لأبناء العروبة أن تعصف بهم ريح الشتات ، وتتوزعَهم يدُ الفرقة .

إن أمثال هذه الدعوات الغريبة لن تزيدنا إلا قوة ومضاء ، وإننا لنتطلع بتفاؤل وأمل إلى اليوم الذي تبسطُ فيه العربية سلطانها في كل ميدان ، وفي ميادين التعليم العالي خاصة ، وتخفتُ كل نأمة ضالّة مضلّلة .

(٢) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح : ٧ .

لا يسعني إلا أن أستمطر شآبيب الرحمة لأولئك الفرسان الرواد الذين رفعوا راية العربية مشرعة ، وأعلوا منارها ، وقضوا ، بعد أن أرسوا الدعائم ، وهيئوا مَنْ يحسن خلافتهم في الذود عن العربية . وهاهو ذا المجمع ، وقد نضا الثانية والسبعين من عمره ، يمضي إلى غايته أشدَّ ما يكون فَتاءً وعنفواناً ، تظلّل أعضاءه رايةُ العربية المبينة ، يتداولونها كابراً عن كابر ، ويسلمها سابق إلى لاحق ، يقوم مقامه في حمل الأمانة .

ونستقبل اليوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد فارساً معلماً يحل محل سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمه الله الرحمة الواسعة .

لقد تمَّ انتخاب الأستاذ حومد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٥ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[٣] .

وإننا لنهنئ الأستاذ حومد ثقة زملائه المجمعيين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً يعضد إخوانه ويؤازرهم في مسيرتهم ، يسعون معاً لتبلغ العربية مكانتها العالمية السامية ، لا تقصّر عن مدى .

لقد تعددت مواهب الأستاذ حومد ، فجلّى في الميدان العلمي ، وجال في ميادين السياسة ، وتولّى المناصب العامة فكان نائباً ووزيراً مراراً .

ولقد أحب الأستاذ حومد العربية وبرّز فيها ، وأكبّ على الحقوق دراسة وتدريساً حتى بلغ الغاية في القانون الجنائي ، وطبعت مؤلفاته في هذا الباب طبعات عدة .

فأهلاً بك ، أيها الزميل العزيز ، في رحاب مجمع الخالدين ، تعمل

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧١ (تموز/١٩٩١م) .

وتدأب مع إخوانك ، لتظل راية العربية سامية .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذُ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع فيُلقيَ كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويعرضَ لمعاً من سيرته ومناحي نشاطه ، ليعقبه الأستاذ الدكتور حومد فيتحدثَ عن سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل ، فيبسط سيرته ، ويجلو نفائسه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

## في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

أيها السيدات والسادة :

يستقبل مجمع اللغة العربية في هذه الأمسية أخاً كريماً وأحد رجالات هذا البلد البارزين هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وقد جرى المتحدّثون الذين يقدّمون شخصية معروفة إلى الجمهور على القول إن الرجل غنيّ عن التعريف ، وأنا أخالفهم في هذه السُنة فأقول إن الدكتور حومد ليس غنياً عن التعريف ، وليس ذاك لأن جمهور المواطنين لا يعرفه ، فهو من أعلام الباحثين ورجال القانون في قطرنا العربي السوري ، وإنما لأن الجمهور لا يعرف من الرجل إلاّ ما يتصل بحياته العامة وعمله فحسب ، ولكنّ ثمة جوانب أخرى يجهلها الناس تتّصل بخلاله وحياته الاجتماعية وصلاته بذويه وإخوانه. وسأتحدث هنا عن هذه الجوانب بالقدر الذي يتّسع له الوقت المحدّد لهذه الكلمة .

وأودّ أولاً أن أعبّر عن سعادة أعضاء المجمع البالغة باستقبال الأخ الكريم الدكتور حومد وانتمائه إلى هذه المؤسسة التي جعلت وكدَها العناية بلغة الضاد وبتراث العربية الخالد ، ولا يخامرهم الشكّ في أنهم سوف يفيدون من انضمامه إلى أسرتهم أعظم الفائدة لما عُهد فيه من النشاط الوافر والغيرة على اللغة العربية والتعمق في العلوم القانونية . ولعلّ كثيراً من الناس

يجهلون أن الدكتور حومد بدأ حياته أديباً ثم اتجه إلى الدراسة القانونية ، ولكن النزعة الأدبية لم تفارقه فاجتمع في شخصه رجل القانون والأديب .

ولد الدكتور حومد عام خمسة عشر وتسعمئة وألف بمدينة حلبَ الشهباء ، وبعد أن أتمّ المرحلة الابتدائية تابع دراسته في المكتب السلطاني ، وهو يومئذ الثانوية الوحيدة في حلب ، ونال في ختامها شهادتي الثانوية العامة الأولى والثانية وشهادة دار المعلمين ، وقد أتاحت له الشهادة الأخيرة دخولَ سلك التعليم فعُين معلّماً ثم معيداً . وفي عام سبعة وثلاثين انتسب إلى معهد الحقوق بدمشق ونجح إلى السنة الثانية ، ولكنه لم يتمّ دراسته القانونية في دمشق إذ اشترك في العام التالي في مسابقة لإيفاد طلاب إلى فرنسا لدراسة الأدب العربي في جامعة باريس . وكانت فرنسا تفرض على وزارة المعارف السورية إرسال جميع بعثاتها إلى فرنسا مهما يكن اختصاص موفديها لحرصها على هيمنتها الثقافية ، وكانت أولى البعثات التي خرجت عن هذه السُنة البعثة التي كنت والدكتور شاكر الفحام في عدادها ، فقد أوفدنا سنة اثنتين وأربعين إلى مصر بدلاً من فرنسا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

حصل الدكتور حومد على الإجازة ( الليسانس ) في الأدب العربي عام أربعين وتسعمئة وألف من جامعة باريس ، على أن نفسه كانت توّاقة مع ذلك إلى دراسة العلوم القانونية ، فحصل في العام نفسه على دبلوم معهد العلوم الجنائية ، وفي العام الذي يليه حصل على الإجازة في الحقوق . وهنا أصبح الدكتور حومد على مفترق طريقين كان عليه اختيار أحدهما : إمّا أن يتابع دراسته الأدبية التي أُوفد من أجلها ، وإما أن يسلُك سبيل رجال القانون فيتابع دراسته القانونية التي بدأها في دمشق ، ــ وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته إلى دمشق بعد حصوله على الإجازة فأتاح له ذلك متابعة دراسته للحصول على الدكتوراه ــ ، وما لبث أن حسم

الأمر باختياره الطريق الثاني فأعدّ أطروحة في العلوم الجنائية نال بها درجة الدكتوراه عام أربعة وأربعين .

والدكتور حومد لم يفصح لنا عن دوافع إيثاره القانونَ على الأدب ، ولعلّه آنس في نفسه الرغبة في إنصاف من ينالهم الأذى والوقوف في جانب من تغتصب حقوقهم ، وهي نزعة لازمته طوال ممارسته مهنة المحاماة وتتّصل اتصالاً وثيقاً بخياراته الوطنية والقومية التي اتجه إليها بعد إنجاز دراسته القانونية . بيد أن اختياره الدراسات القانونية لم يلغ ميوله الأدبية القوية الجذور في نفسه ، فسجّل رسالة دكتوراه عن حافظ إبراهيم في جامعة باريس ولكن لم يتح له إنجازُها ، فقنع بمتابعة مطالعاته الأدبية وحفظ الكثير من الشعر العربي ، وأعانه على هذا الحفظ حافظته القوية ، وكان كثيراً ما يروي لنا في المناسبات الاجتماعية التي كنا نلتقي فيها جانباً من محفوظه الشعري أو يتحفنا ببعض الأحاديث الأدبية التي اختزنتها ذاكرته . وقد تجلّت موهبته الأدبية في كتاباته ومقالاته في مختلف الدوريات العربية .

بعد انطفاء نار الحرب العالمية الثانية عام خمسة وأربعين عاد الدكتور حومد إلى سوريا ليتولى تدريس الأدب العربي الذي أوفد من أجله في ثانوية حلب واستمرّ يتولّى هذا العمل لمدة عام ، وما لبث في العام الذي تلاه أن تخلّى عن تدريس الأدب ليتولّى تدريس المادة التي استأثرت باختياره ، فعُين مدرّساً في كلية الحقوق بدمشق ، وتمّت ترقيته بعد ذلك إلى مرتبة أستاذ مساعد فأستاذ كرسي الجزائيات ، على أنه انقطع عن ممارسة التدريس حقبة من الزمن من جرّاء تسريحه عام اثنين وخمسين لعدم أدائه اليمين إبّان حكم الشيشكلي ، ثم عاود التدريس في كلية الحقوق حتى عام تسعة وخمسين .

لم يكن الدكتور حومد خلال هذه الحقبة منقطعاً إلى التدريس وحده ، فإن خياراته السياسية دفعته إلى الانتماء إلى حزب الشعب الذي

كان مهده مدينةَ حلب فكان أحد أقطابه البارزين ، وقد رشّح نفسه ممثلاً لهذا الحزب مرّات متعددة ، وتبوّأ كرسي النيابة والعمل الوزاري كذلك مرّات متعددة قبل قيام الوحدة بين القطرين المصري والسوري ، فتولّى وزارة المعارف مرتين ووزارة المالية مرّة ، ووزارة الخارجية بالوكالة .

حينما قامت الوحدة بين القطرين عام ثمانية وخمسين وقف الدكتور حومد الموقف الذي أملته عليه عاطفته القومية فوقف إلى جانب المؤيّدين لهذه الوحدة الحريصين على استمرارها ، وشارك في تلك الحقبة في تحمل التبعات التي نيطت به ، فتولى وزارة العدل مدة سبعة أشهر في العام الأول للوحدة ، ثم عهد إليه بحقيبة وزارة الخزانة فنهض بهذه المهمة وأدّاها على خير وجه إذ جعل إنفاق الأموال وفقاً على ما فيه مصلحة الدولة والأمة . وبعد زهاء ثلاث سنوات تولّى وزارة التخطيط في القاهرة ولكن عمله في هذه الوزارة لم يطل بسبب انفصام عرى الوحدة بين القطرين بقيام حركة الانفصال أواخر عام واحد وستين . وقد ظلّ ولاؤه للوحدة قائماً طوال عهد الانفصال وانقطع عن التدريس الجامعي وانصرف إلى مزاولة المحاماة . وبعد انقضاء هذه الحقبة عاود نشاطه السياسي فتولّى وزارة المال حقبة قصيرة ودّع بعدها العمل السياسي وانصرف إلى التدريس الجامعي خارج القطر السوري ، فتعاقد أولاً مع جامعة الرباط ثم تعاقد بعد ذلك مع جامعة الكويت وظلّ يمارس التدريس فيها خمسة عشر عاماً ، وقد تولى أثناء تدريسه في هاتين الجامعتين رئاسة قسم القانون الجنائي فيهما .

وفي عام ثلاثة وثمانين رغب إلى جامعة الكويت عدمَ تجديد عقده على رغم إلحاح المسؤولين عليه فيها على الاستمرار في عمله لحرصهم على الإفادة من علمه وخبرته القانونية . وعاد بعدئذ إلى دمشق ولكن نشاطه لم يفتر فقد انصرف منذ عودته إلى البحث وتأليف الكتب وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات .

بالإضافة إلى ما بيّنت من نشاط الزميل الكريم في مختلف المجالات لا يفوتني أن أشير إلى مشاركته في عدد وفر من المؤتمرات القانونية والسياسية والأدبية أذكر منها على سبيل المثال مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بلودان عام ستة وخمسين والمؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة في جنيف عام خمسة وخمسين ومؤتمر الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في العام نفسه والمؤتمر العالمي للقانون الطبي في بلجيكا عام تسعة وسبعين .

ألّف الزميل الفاضل عدداً من الكتب القانونية يجاوز العشرة ، ومنها رسالة عنوانها : « الاعتداء على سلامة الدولة الخارجية » نال بها دبلوم القانون ورسالة موضوعها : « معاقبة الإجرام السياسي في التشريع المقارن » نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد نشرت في باريس وقدّم لها الأستاذان هوغني Huguency ودونيديو Donnedieu ، وقد طوّر هذه الرسالة فيا بعد ونشرها بالعربية وجعل عنوانها : « الإجرام السياسي » .

ومن مؤلفاته القانونية كذلك كتاب « أصول المحاكمات الجزائية » ، وهو مرجع ضخم لا يستغني عنه المختصّون في هذا المجال ، وظنّي أنه ما زال يُدرّس في جامعة الكويت . ونشر كذلك عام ١٩٨٣ كتاباً عنوانه : « دراسات معمَّقة في الفقه الجنائي المقارن » وقد أثنى عليه كثير من الباحثين في القانون ، قال فيه مثلاً الدكتور حسن صادق المرصفاوي عميد كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية : « مرجع ندر أن يوجد مثله في اللغة العربية ، وإنه يحتوي على علم سيستمرّ نوره لأجيال وأجيال ». وقال فيه الأستاذ أسعد الكوراني نقيب المحامين في حلب : « إنها دراسات فريدة في موضوعها في اللغة العربية ، ودراسة رائعة خليقة بالثناء المستطاب عن حق » .

وعلى أنني بعيد في تخصصي عن المجال القانوني فإنني قرأت أكثر فصول هذا الكتاب واستمتعت بها حقاً لأنها مما يتّصل باهتمامات المثقفين

عامة . فقرأت بعناية الفصل الأول الذي يتناول ظاهرة تفاقم الإجرام في المجتمعات المعاصرة والذي تحدّث فيه عن أنواع الإجرام وموقفِ الباحثين القانونيين والاجتماعيين من الجريمة وتعريفها ، وأورد فيه اراء طائفة كبيرة من علماء القانون والاجتماع ، والفصل مزوّد بإحصاءات وافية تبيّن مدى تفاقم الجرائم في العالم . وأشهد أنني استمتعت بقراءة هذا الفصل واكتسبت منه اطلاعاً على جوانب كنت أجهلها . كما أنني قرأت الفصل الذي عقده لعقوبة الإعدام والخلاف الناشب بين رجال القانون وعلماء الاجتماع بشأن إبقائها أو إلغائها . وقد عرض فيه الزميل الكريم آراء الفريقين بموضوعية تامة ثم أدلى برأيه الخاص الذي يؤيّد فيه إبقاء هذه العقوبة في التشريع لحين الحاجة إليها ، وهو يؤيد إلغاء عقوبة الإعدام في الجرائم السياسية باستثناء جريمة الخيانة العظمى للوطن ، ورأيه مقنع جدير بالتقدير . ومن الفصول التي قرأتها كذلك الفصل الذي عقده للقتل بدافع الرحمة ( قتل المرحمة ) وقد أورد فيه مختلف الآراء في هذا الضرب من القتل . وقد أُعجبت كذلك بما جاء في الفصل الذي عقده لأصول تفسير القوانين الجزائية ووجوب تحرّي الدقّة في تعريف مختلف ضروب الجرائم لتحاشي محاولة التلاعب في تطبيق القانون . ومن الأمثلة الطريفة التي ساقها على ذلك أن أحد المحامين طالب ببراءة موكله بائع الحليب الغشاش بحجة أنه لا يغشّ الحليب بالماء - كما ورد في نص القانون - وإنما يغشّ الماء بالحليب ، فهو يضع الماء أولاً ثم يصب الحليب فوقه .

ومن مؤلفات الدكتور حومد كذلك « المفصّل في شرح قانون العقوبات » وهو مرجع ضخم يقارب عدد صفحاته الألف والمئتين ، وقد شرحت فيه النظريات العامة التي اشتمل عليها قانون العقوبات مدعمةً بأحكام القضاء السوري والمقارن . ومن مؤلفاته كذلك كتاب : « الإجرام

الدولي » وهو يتضمن شرح الجرائم الدولية التي اكتسبت طابعها القانوني إثر محاكمات نورمبرغ وطوكيو والتي استهدفت سلام البشر ، ومنها الجرائم التي عرفت بجرائم الحرب ، وهو كتاب لم يؤلَّف في موضوعه أحد من الباحثين العرب .

وثمة مؤلفات أخرى تتصل بالقانون الجنائي المغربي وقانون الجزاء الكويتي . هذا فضلاً عن العشرات من المقالات التي نشرت في مختلف الدوريات العربية كمجلة « العربي » و« عالم الفكر » وهي تتناول موضوعات قانونية وأدبية وسياسية واجتماعية .

هذا تعريف موجز بالدكتور حومد الباحث القانوني ، بقي أن أتحدث عن حومد الإنسان والصديق ، فقد أسعدني الحظ بصحبته سنواتٍ ، يوم كنّا ندرّس في جامعة الكويت ، وأشهد أنني نعمت بصحبته صديقاً وفياً ، حلوَ المعشر ، عفّ اللسان ، كريماً مضيافاً ، يطمئن المرء إلى سموّ خُلقه وصفاء دخيلته وكريم خلاله ، كما عرفت فيه الالتزام الصارم بواجباته المسلكية ، والتشبّثَ العنيد بالمبادئ الوطنية والخلقية التي انطوى عليها ، وهو لا يحيد عنها مهما تكن المغريات والمؤثّرات ، فأنعِم به أخاً فاضلاً وصديقاً عزيزاً ، وأهلاً به زميلاً مجمعياً كريماً .

# خطاب الأستاذ
# الدكتور عبد الوهاب حومد

## في حفل استقباله

بين يدي هذه الكلمة :

اسمحوا لي أيها السيدات والسادة :

١ ـ أن أعرب لكم عن خالص الامتنان لتفضلكم بحضور هذه الأمسية ، تكريماً منكم لرجال العلم .

٢ ـ وأن أخص صديقي العزيز الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص بأصدق آيات الشكر والعرفان على كلمته الكريمة . وما قاله في شرف لا أدعيه ، وتُهَمٌ لا أبرئ نفسي منها .

٣ ـ وأن أشكر أخي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، نائب رئيس المجمع ، على ترحيبه الجميل بي .

٤ ـ وأن أوجّه تقديري العميق للزملاء الأفاضل من أعضاء المجمع الذين انتخبوني بإجماع أصواتهم لأكون واحداً منهم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة :

حين بدأتُ بقراءة مؤلفات المرحوم الدكتور شكري فيصل وأبحاثه الغزيرة ، لأتكلم عنه وفاءً بحقه عليَّ ، حسبت أنني أجالس الصديق الهادئ ، صاحب الطلعة الصافية والنظرات العميقة التي لا تكاد تخفي قلقها ، وصاحب الصوت الخفيض الناعم والتفكير السديد .. ولكن ما إن انتهيتُ من مطالعة ما دبجته يراعته ، حتى أدركتُ أنني على متن زورق فوق بحر محيط ، أنس إلى هدوء السطح وأحلامه فلما اجتذبته أولى الموجات عن شاطئ السلامة ، أخذ يُحسُّ بما في الأعماق من تلاطم تيارات وتصادم انفعالات ... عندها أحسست بجسامة العبء وثقل المسؤولية .. ولكن الذي أغراني بعدم النكوص على عقبيَّ ، شعورٌ دفين بأنني لست غريباً تماماً عن هذه الأجواء الأدبية ، التي تقلبتُ في أحضانها زمناً ما ، قبل أن تنتزعني من جناتها الوارفة وأنغامها الشجية ، صرامة القانون وتجهُّم قسمات مواده المستعصية ، التي لا تنشر الدفء دوماً في النفس ...

وأحب أن أعرفكم بحياة الدكتور شكري تعريفاً موجزاً ، لأن باحثين أخياراً من أخوانه كتبوا عنه وأجادوا بحيث وجدتني أتساءل : هل غادر الشعراء من متردم ؟ ثم أتبسط في تعريفكم على إنتاجه الغني ..

ولد الدكتور شكري – كما يتحدث عنه الدكتور عدنان الخطيب في دراسته عنه[١] – لأب أصله من مدينة حمص ، هو المرحوم عمر فيصل ، جاء إلى دمشق قبل الحرب العالمية الأولى واستقر في حي العقيبة وتزوج احدى بنات الحي ، فولدت له المرحوم الدكتور شكري عام ١٩١٨ وكان أخوها من أفاضل المربين في دمشق ، وكان يدير مدرسة ابتدائية في حي المسكية . ومات أبوه وتركه وحيداً ، فامتدت إليه بالرعاية يد خاله ، فاحتضنه ونشَّأه في بيته وزوجه ابنته الأستاذة الفاضلة « أم معتز » . وقد بقي طيلة حياته يشعر بعاطفة من العرفان نحو هذا الخال ، وعبَّر بصورة حسية عن هذا الشعور ، فأهدى إليه كتابه الرائع « المجتمعات الإسلامية » بقوله :

« إلى روح خالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين ، أهدي هذا الكتاب . فهو رَوْح من رُوحِه ، وعَبَق من عبقه ، وفاءً ببعض حقه وإيماناً بفضله » .

وخصلة الوفاء هذه ظلت « فيصله » المميز طيلة حياته في علاقاته بأساتذته خاصة وبأصدقائه ... وكأنما لقي من بعض أصحابه ما لا يحب في بعض الأحيان ، فسالت مرارته على قلمه تشكو إلى الله تنكُّر المتنكرين ...

وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة معاوية ، ثم انتقل إلى مكتب عنبر وهو المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت إذ ذاك في دمشق . وقد تلقى العلم فيها من أساتذة أجلاء ، كانوا في تلك الأيام ملء السمع والبصر ...

وقد حصل على الشهادة الثانوية بقسميها العلمي عام ١٩٣٦ والفلسفي عام ١٩٣٨ وبذلك جمع بين الحسنيين : تنظيم العقل وتذوق الأدب ..

(١) الدكتور فيصل وصداقة خمسين سنة .



ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فحصل منها على الشهادات التالية :

١ ــ الإجازة في الآداب عام ١٩٤٢ بدرجة الإمتياز .
٢ ــ الماجستير في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٤٨ .
٣ ــ دبلوم معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية » عام ١٩٤٩ .
٤ ــ الدكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٥١ .

وعلاوة على هذه الشهادات الأدبية الرفيعة ، وجد رحمه الله وقتاً كافياً ليدرسَ الحقوق ، في كلية الحقوق بدمشق ، ويظفر بشهادتها عام ١٩٤٦ ، وهي السنة التي عينت فيها أستاذاً في هذه الكلية . وحين توثقت علاقاتنا بعد سنوات لم ينس أبداً أن يتزلني في تعامله معي ، منزلة واحد من أساتذته !..

وقد أهلته مؤهلاته العالية لتبوءِ كرسي الأستاذية في كلية الآداب بدمشق منذ عام ١٩٥٢ ، ومن سدة هذا المنصب أخذ إشعاعه الأدبي يغزو قلوبَ طلابه في الكلية وأفئدةَ الأدباء والمتأدبين المعجبين بقلمه وفكره من خارج الجامعة ، سواءٌ في محاضراته النفيسة التي كان يلقيها على رجال الأدب والعلم في المؤتمرات أو الحلقات أو الندوات ، أو ما كانت تنشره له المجلات الأدبية المتخصصة .

وقد مَثَّل سوريةَ في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، وفي مؤتمر القاهرة عام ١٩٥٧ . وفي تلك السنة مثَّل بلدنا في مهرجان أحمد شوقي ، وحاضر عن « نثره » ، كما مثَّلنا في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت عام ١٩٥٨ وألقى فيه محاضرة بعنوان :

« البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة » .

وتعود بي الذاكرة إلى ذلك المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي عُقِدَ في بلودان عام ١٩٥٦ ، والذي كان أولَ مؤتمر يحضره المرحوم ممثلاً لبلده .. فقد كان عليَّ أن أسمي أعضاء الوفد السوري ، بوصفي وزيراً للمعارف .. ولم تكن المهمة يسيرة : فقد كان في الوفد المصري طه حسين وأحمد رامي ويوسف إدريس وأمينة السعيد وفي الوفد العراقي محمد بهجت الأثري وبدر شاكر السياب وفي الوفد اللبناني ميخائيل نعيمة وقسطنطين زريق .. وكانت السعودية ممثلة بخير الدين الزركلي ... وشُكِّل الوفدُ السوري من الأساتذة خليل مردم بك وفؤاد الشايب وبدر الدين الحامد وأسعد طلس ... وشكري فيصل .. وعدد من الأدباء .

ولم يتكلم في المؤتمر من الوفد السوري غير الأستاذ فؤاد الشايب عن « الأديب والدولة » والدكتور شكري فيصل الذي ناقش محاضرة السياب .. عن « وسائل تعريف العرب بنتاجهم الحديث » .

وهنأته على كلمته .. وكانت تلك مناسبة حلوة لتعارفنا الأول ... ويطول بي الكلام لو أنني عددت المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية التي حضرها .. على ما فيها من استفادة وإفادة ، ولكني أذكر أنه ظل ملحقاً ثقافياً مدة عامين في القاهرة عمل خلالهما في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع الأستاذ أحمد أمين والأستاذ ساطع الحصري ، وبعد عودته إلى دمشق ، عيِّن في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف . وكانت هذه اللجنة تخطط لبرامج التعليم وتراقب الكتب المدرسية .. وكنت أنظر إليها نظرةَ تقديرٍ واحترام لأنها كانت الرأسَ التي ترسم للتعليم مساره في البلاد .

وهكذا فمنذ أولى درجات السُّلَّم كانت تناط بالدكتور شكري الأعمال الحساسة ... وكان يقوم بأعبائها بكفاءة تدعو إلى الاعتزاز :

قد يوجد الحلم في الشبان والشيب ... وما الحداثة عن حلم بمانعة

ولم يقف إشعاعه الثقافي الفذ عند حدود الوطن الصغير ، فقد مَدَّ فيه بعيداً حتى عم أكثر بقاع الوطن الكبير ، وأتاح لأبناء جلدتنا من مشرق العروبة إلى مغربها أن يَنْهَلوا من عطاء عبقريته . فقد حاضر كأستاذٍ زائر في جامعات فاس ووجدة ومَرَّاكُش والجزائر وطرابلس واليرموك وعَمان والرياض وبيروت والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .. وفي مقامه في جوار قبر المصطفى لقي ربه ودفن إلى جوار النبي الذي أحبه حباً أخذ عليه مجامع قلبه ، عام ١٩٨٥ ...

وقد عَرَفَتِ المحافلُ الثقافية قدرَه فاختير عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني ، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان والمجمع العلمي العراقي وبيتِ الحكمة في تونس .. وكان واسطةَ العِقْد في مجمعنا وأميناً لسره ...

وقد تفجَّر من هذه الفعاليات الثقافية فيضٌ من الدراسات التاريخية الإسلامية ومجموعةٌ نادرة من المؤلفات والأبحاث الأدبية والاجتماعية أُعْرِضُ لها دون أن أتعمق في مضامينها مراعاة للوقت ، فيما يلي :

**أولاً — الدراسات التاريخية الإسلامية**

درس الدكتور شكري « حركة الفتح الإسـلامي » دراسة جديدة لا تقتصر على دراسة النصوص القديمة واختيار أفضلها والتعليق عليها ، كما يفعل المؤرخون في العادة .. لأنه اختار في دراسته طريقةً حديثة متأثرة بأسلوب البحث العلمي الحديث . وقد أشار إلى هذا التجديد في مقدمة كتابه الثاني « المجتمعات الإسلامية » فقال :

« واستقر عندي أن موضوعاً يَعْرِضُ لدراسة الفتح الإسلامي وتكون غايتُهُ البعيدةُ أن يبلغ آثارَه من حيثُ التطورُ اللغويُّ والأدبي في المجتمعات الإسلامية ، يجب أن يقوم على دِعامتين : أولاهما من **التاريخ نفسه** والثانية

من علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللغوي بوجه خاص .. وإني إن لم أفعل ذلك ، لم يكن الموضوع إلا تلاعباً بهذه الحفنة من الأخبار والروايات التي تُديرُ الحديثَ عنها كتبُ الأدب واللغة ... » .

وهكذا جاء كتابُه التاريخي الأول « حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول » دراسةً نفيسة لم تكتف بعرض قصص المعارك وسرد الانتصارات ، بل إنه خرج فيها من المجال العربي إلى الأفق العالمي فأخضع النصوص إلى ما يسير عليه العلماء المتطورون من تحليل واستقراء دقيقين .. وعلى سبيل المثال فإنه بحث في فتوح الشام موقفَ عرب الشام وموقف الروم وموقف النصارى من الحركة العسكرية الإسلامية القادمة من الجنوب . وانتهى إلى القول بأن « الحرب اتخذت شكلاً دينياً واضحاً .. وكان مما لجأ إليه الروم أنهم استثاروا مشاعر الجماعة الدينية واستثمروا في ذلك رجالَ الدين أنفسَهم . والتفاصيل التي وردت في روايات بعض المؤرخين تُطْلِعُنا على أن قوادَ الروم كانوا يُقَدِّمون أمامهم الشمامسة والرهبان والقسيسين يُغْرُون الجند ويَحُضُّونهم على القتال . ولا يختلف موقف نصارى الشام في مقاومتهم الفتح الإسلامي عن مقاومة الروم له . وهذا طبيعي كما يقول . فالإسلام دين جديد يدعو إلى غير ما تدعو إليه الديانةُ السائدة في الشام آنذاك ، وليس غريباً أن يقفوا في وجهه دفاعاً عن معتقداتهم الراسخة .. وإذن فليس هناك أهميةٌ تذكر لما يقال عن خلاف بين الكنيسة السورية التي كانت تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعةً واحدةً ، وبين الكنيسة البيزنطية التي تؤمن بما أقره مجمع خلقدونية عام ٤٥١ ميلادية من أن للمسيح طبيعتين : إلهية وبشرية ...

ومن المؤكد فإن إثبات الحقيقة ، ولو كانت مرةَ المذاق ، أثمنُ في نظر العالم المتبتِّل من أحاديث المجاملة التي تدغدغُ بعض الأحلام ، لأهداف غير علمية ولكنها تسيء إلى الحق والتاريخ ..

وعلى كل حال ، فإن كتاب « حركة الفتح الإسلامي » هذا ، دراسةٌ تمهيدية لنشأة « المجتمعات الإسلامية » التي تشكلت بعد الفتح في الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والشرق الإسلامي . وهو الكتاب الذي حصل به على درجة الدكتوارة في الآداب . وهذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة طبع خمس مرات حتى تموز ١٩٨١ . وقد أخذ المؤلف رحمه الله على عاتقه أن يغوص في أعماق تلك المجتمعات الحديثة غوصاً رفيقاً واعياً ، لأن الإسلام لم يُحَطِّمْ نواميسَها ونظمها وعقائدها وعاداتها ولم يقلبْها رأساً على عقب بل سار فيها السير الواعي الذي أمر به الشرعُ في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ؟ .

وقد تتبع حركة انتشار الإسلام المذهلة في أراضٍ متعطشة إلى نور المعرفة ، فجرَّت وراءها حركةَ تعريب واسعة . وواكبت حركةَ انتشار الإسلام ، حركةَ التعريب على نطاق واسع .. إلا أن هذه المواكبة اصطدمت في بعض المجتمعات الجديدة ، فَقَصَّرَتْ حركةُ التعريب عن حركة انتشار الإسلام . ومن خلال استقرائه الوقائع ، وجد المؤلف أن **اللغة الفارسية** قاومت اللغة العربية في بلاد الفرس مقاومة عنيدة . وقد أرجع فشل تعريب هذه البلاد إلى سببين : الأول أن المقاتِلةَ العربَ لم يكونوا يتجاوزون – يوم اسْتُخلِفَ سليمانُ بن عبد الملك عام ٩٦هـ – على حد تقدير المؤرخ البلاذري ، وهو حجة موثوقة ، أربعين ألفاً من مقاتلة البصرة وسبعةَ آلاف من مقاتلة الكوفة وسبعة آلاف من الموالي . وكان مَنْ وراءَهم من العرب في تلك البلاد لا يزيدون على أربعة أمثال هذا العدد .. وبذلك لم يكن العرب الموجودون في تلك البلاد يزيدون عن ربع مليونٍ فقط ، في وسط تلك الامبراطورية الواسعة ذات الأمجاد الفارسية التليدة والمعتزة بماضيها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والذي يتتبع حركة التاريخ ، بعد الفتح الإسلامي إلى أزمنة متأخرة ، يلاحظ أن الفرس ظلوا على الدوام يرفضون الامتزاج بالعرب الذين اجتثوا قوتهم العسكرية في ميادين القتال ونشروا في بلادهم دينهم الجديد .. ومن مظاهر رفض الامتزاج ، أنه حين كانت غالبية العالم الإسلامي تدين بالمذهب الشيعي في ظل الدولة الفاطمية ، ومنها بلاد الشام ، كانت فارسُ سنيةَ المذهب ... فلما قضى الأتراك السُّنَّةُ على حركة التشيع بانتصارهم على المماليك عام ١٥١٦ ، عاد المذهب السني إلى بلاد المسلمين .. غير أن الصفويين الفرس غيَّروا من قناعاتهم وتبنوا المذهب الشيعي وفرضوه على أتباعهم بقوة الحديد ... لكي يظلوا مجتمعاً متميزاً عن المجتمع العربي ...

أما السبب الثاني في فشل تعريب فارس ، فهو انقسام الفاتحين العرب في فارس ، وتخاصُمُهم فيما بينهم ، الأمر الذي حملهم على الاهتمام بأمورٍ أخرى غير التعريب ..

ومع ذلك ، فإن القرون التالية سوف تشهد فرساً استعربوا وأصابوا حظاً عالياً من الثقافة العالية والتأليف في مختلف علوم اللغة العربية ..

وليس بدعاً أن تأخذ اللغة العربية عن لغات الشعوب غير العربية التي أسلمت كثيراً من ألفاظها ، فاغتنت بها ووسعت قاموس ألفاظها . كما أنه من طبيعة الأشياء أن يأخذ الفاتحون العرب من الشعوب التي أخضعوها كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم بسبب المعايشة المشتركة ، بعد أن كيَّفوها وَعَدَّلوا فيها لتنسجم مع أحكام الإسلام ، الذي أصبح دينَ الدولة .. وقد كان للزَّواج المُختَلَط أثر كبير في ولادة أجيال جديدة ، تشرَّبَتْ الواقعَ الجديد ونشأت في أحضانه ، كما كان للسبي وعيش السبايا في بيوت الفاتحين العرب مثل هذا الأثر في تطوير العادات العربية .. وقل مثل ذلك عن عيش الجنود المقاتلة من عرب وغير عرب في ثكنات عسكرية عيشةً

مشتركة .. ويذكر التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وُفّق توفيقاً كبيراً في عدم تقسيمه الأراضي المفتوحة بين الغزاة العرب باعتبارها من الفيء ، ولكنه – على حد قول الدكتور شكري – لم يوفق في الحد من اصطناع السبي ، خاصة وأن الإسلام شجع كثيراً على عتق السبايا وجعل ذلك قربى من الله ، واعتبر المحررات كالعربيات زوجاتٍ مؤمناتٍ لهن ما لسائر الزوجات المؤمنات من حقوق كاملة ..

وكان من آثار هذا الإختلاط تسرُّب اللكنة الأعجمية إلى الألسنة . فالصاد مثلاً عسيرة اللفظ على الأعاجم ، فكانوا يلفظونها سيناً . فيقولون : ( ما تسنع بدلاً من : ما تصنع .. ) . وكانوا يخطئون في تركيب الجمل نفسها حتى لتستعصي على الفهم . ويروي صاحب البيان والتبيين ( ج٢ ص٢١٣ ) أن امرأة من الأعاجم قالت لولدها : « جردان دخل في عجان أمك » تريد أن الجرذ أكل من عجينها .. وهذا وضع طبيعي ولا عيب فيه ، فنحن حين درسنا اللغات الأجنبية ، كنا نرتكب مثل هذه الحماقات .. غير أن كثرة الأعاجم واختلاطهم القوي بالعرب ، أثرا في اللغة العربية أثراً سيئاً ..

وقد عرفت حركة الفتوح أدباً جديداً تَمَثَّل أكثرَ ما تمثل في **تمجيد البطولات** في خوض المعارك ورفع راية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ونشر الدعوة .. ولكن حين تَدْخُلُ السيوفُ في أغمادها ، ويضمِّدُ المقاتلون جراحهم في أرض الغربة يأخذهم الحنين في هدأة الليل إلى الأب والأم والزوجة والولد في أرض الوطن ، فيترجمون عواطفهم هذه بأبيات أو قصائد أخذت تعرف **بشعر المواجد** .

غير أنه بعد أن يتحقق النصر ويسود السلم ، عن رضى أو عن كره ، تكون الهجمة العسكرية قد حققت أهدافها .. عندها يأخذ المقاتل

بالاندماج في الحياة المدنية .. ويُخْلِدُ إلى راحة الأسرة ، التي أنشأها كثيرٌ من العرب في أرض الغربة .. وعندها تعود الشاعرية إلى القلوب تَحْفِرُ في ثناياها مساربَ لينابيعَ صافيةٍ تترقرق على جنباتها شعراً غزلياً ناعماً متأثراً برقة البيئة الجديدة ، وهي على كل حال بيئةٌ بعيدة عن بكاء الأطلال وبعر الآرام أو مراجيع الوشم في نواشر المعصم .. غير أن السياسة ما لبثت أن حركت عقاربها ، في صورة أشعار نظمتها الفرق الدينية في الدعوة إلى مبادئها ..

## ثانياً ـ المؤلفات الأدبية

في نطاق فعاليات الدكتور شكري الأدبية ، نجد كتابين من أجمل وأصفى ما دبجته يراعته ، وهما :

١ ـ مناهج الدراسة في الأدب العربي .

٢ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام .

وإلى جانبهما نجد له :

٣ ـ أبحاثاً أدبية كثيرة .

٤ ـ تحقيق بعض الكتب القديمة ونَشْرها .

وسوف أتناول تباعاً وبإيجاز هذه الأعمال في أربعة مباحث ، هي التالية :

### ١ ـ مناهج الدراسة الأدبية

خصص الدكتور شكري هذا الكتاب النفيس لدراسة « مناهج البحث في أدبنا العربي والطرائق التي غلبت على الدراسات الأدبية والنظريات التي تتحكم فيها من ورائها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك » ، كما يقول .

ومرتكز بحثه أنه « خير للأدب أن ينطلق فيسعى إلى منهج جديد يضبط دراسته ويوحِّد وجهته ويجعله ينشد وجدانه في هذه المدارس الفنية

نقول إنها كانت في أذهان بني العباس منذ أن اختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة واستمرَّتْ حية في قلوبهم حين اشتبكت قوات علي ومعاوية .. وإذن فعام ١٣٢هـ . ليس أكثر من الميلاد الرسمي للدولة العباسية ، وهو تاريخ لا يمكن أن تلتزم به الدراسة الأدبية ، كبداية عهد جديد للأدب ..

كذلك يؤخذ على هذه المدرسة تشبثها بالعامل الزمني **ونسيانها أثر العامل المكاني** . وهو فرق نلمسه في التباين بين شعر البادية وكثبان الرمال والدِّمَن وبين الشعر المتردد في جنان الشام وأرض السواد ودجلتها وأنفاس الحضارة في بساتين قرطبة ووادي آش ..

وقد نبذ المؤلف هذه النظرية لأنها أصيبت بالجمود ووقفت بالدراسة الأدبية عند القمم الشامخة من كل عصر ، دون أن يكون للمقلين كبير نصيب من الدراسة والاهتمام .. في حين أن دراسة واحد من المقلين النوابغ تكشف حسب تعبير الدكتور شكري « عن كثير من الخبيء المستغلق في تاريخنا الأدبي » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا كانت هذه النظرية قد أدت خدمة جلى لدراسة الأدب ، بأن أقامت له بنياناً كان جديراً بالإعجاب : فإن من حق التطور أن يسعى إلى إقامة بنيان جديد على أنقاض بنيان لم يصمد لضربات الفكر ، يكون من شأنه تفادي عيوب النظرية المدرسية .

### ٢ ـ نظرية الفنون الأدبية

يبدو أن أول من حاول بذر بذرة هذه المدرسة ، المرحوم جرجي زيدان . وقد كان هذا البحّاثة الكبير طليعة أصحاب النظرية السابقة ، غير أنه عمد في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى تبني أسلوب غير أسلوب التقسيم التاريخي ، ويعتمد الأسلوب الجديد ـ أو النظرية الجديدة ـ إلى اعتماد تقسيم النشاط الأدبي على مواضيعه أي فنونه المختلفة ، كالحماسة

والغزل وشعر الطبيعة والفخر والهجاء والتصوف ... وحين ندرس واحداً من هذه الفنون فإننا نكون ملزمين حكماً بدارسة المشاهير الذين نبغوا في هذا الفن ، وكذلك الأدباء الذين لم ينالوا درجة عليا من الشهرة ، حتى يتاح للباحث الإحاطة بجميع عناصر هذا الفن ويستوفيَهُ . وبذلك ينال المغمورون حقهم من الدراسة ...

ولكن الدكتور شكري يأخذ على هذه النظرية أنها تهتم **بالفن ، وتهمل الفنان** ، أي الشاعر أو الناثر ، فلا تُعْنى بشخصيته أو سيرته الذاتية بصورة مقبولة ..

كذلك فإن الشعر القديم لم يكن يعرف وحدة القصيدة ، إذ كان الشاعر يجمع في قصيدة واحدة مجموعة من الفنون المتعددة المواضيع ، مثل البكاء على الأطلال ومدح الجواد ووصف الحرب وأبطالها وآثارها المدمرة .. والفخر بالقبيلة .. وذم المناوئين .. وربما ضمنها أيضاً بعض مواعظ استقاها الشاعر من حياته الطويلة وخبرته العملية ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يستقم أمر هذه النظرية ، فقال قائلون بنظرية أخرى ، هي :

**٣ ـ نظرية الجنس**

مرتكز هذه النظرية أن العرب حملوا راية الإسلام من جزيرتهم إلى بحر الظلمات فأكناف الصين .. كما حملوا إلى هذا العالم الفسيح اللغة العربية .. وكان في هذا العالم أقوام أخرى ، كانوا موجودين في أماكنهم قبيل الغزو الإسلامي وهجرة الفاتحين العرب إليهم .. وأسلم كثيرون من أبناء هذه الشعوب وساهموا في بنيان الحضارة الإسلامية .. منهم عن قناعة ومنهم عن مصلحة ..

ويشهد التاريخ على أن هذه الشعوب لم تَذُبْ في البوتقة العربية ، بل ظلت تحتفظ بجذورها وكثير من رواسبها النفسية والثقافية والمذهبية ..

ومن منطلق هذه الفوارق العرقية ، دعا بعض الباحثين إلى دراسة الأدب العربي على أساس الأجناس .. فندرس الأدب العربي الذي تفرد به الأدباء العرب ، وندرس الأدب العربي الذي صاغه الأدباء الفرس بالعربية ..

ولم تظفر هذه الدعوة باستجابة جدية ، لأنها تنطلق من مفهوم غامض هو أثر الوراثة العرقية في النتاج الأدبي .. كذلك فإن الإسلام ساوى بين المسلمين في الحقوق والواجبات ، ولم يضيق في الزواج على عرق دون آخر .. فالمسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم .. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .. وقد اندمج المسلمون بعضهم في بعض اندماجاً واسعاً ، بحيث لم يعد ميسوراً القول بوجود شاعر من عرق صاف ، وآخر من عرق هجين .. فقد تصالبت الأعراق تحت لواء الإسلام ، وأخذ قول الرسول الأعظم مداه الأوسع مع مرور الزمن : « يا بني هاشم لا يأتوني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ... »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ــ واستعرض الدكتور شكري **بعد ذلك النظرية الثقافية** ، التي تتطلب دراسة الأدب العربي بعد أن امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية كالفارسية واليونانية والهندية .. ومن أبرز نماذجها امتزاج الثقافة العربية والثقافة الفارسية في عبد الله بن المقفع ، وامتزاج الثقافات العربية والفارسية واليونانية في الجاحظ .. فقد حذق كثير من الأدباء ، وخاصة الفرس منهم الأدب العربي والأدب الفارسي ، فجمعوا بين محاسن الثقافتين . وهكذا نشأ أدب جديد يحمل خصائص مشتركة ومزايا جديدة ، هي أثر لهذا التزاوج الثقافي .

وينقل الدكتور شكري هذه الواقعة المعبرة . قال : يروى أن الرشيد أوصى أستاذ أبنائه الكسائي بما يلي : « يا عليُّ بن حمزة : قد أحللناك المحل

الذي لم تكن تَبْلُغُهُ همتُك ، فروّنا من الأشعار أعفَّها ومن الأحاديث أجمعَها لمحاسن الأخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والروم .. » . مما يعني أن دراسة الأدب يجب أن تُعنى عناية خاصة بدراسة الثقافات المختلفة التي تعاونت على الإنتاج الأدبي .

ونظن أن هذه النظرية تأخذ اليوم مداها الواسع في اختلاف المناهل الأجنبية التي ينهل منها أدباؤنا ومفكرونا أثناء دراساتهم في الجامعات الأجنبية . فجماعة السوربون يتحسسون برقة الأدب الفرنسي وجماعة اكسفورد يتذوقون عذوبة الآداب الإنكليزية ، والذي درسوا في جامعات الاتحاد السوفيتي يستطيبون كتابات تولوستوي وديستويفسكي .. وهؤلاء وأولئك ينقلون إلى بلادهم وتلامذتهم روائع ثقافاتهم الأجنبية .. وعن التفاعل الثقافي بين الثقافات المتعددة ينشأ أدب منفتح على أرجاء الأرض ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع ذلك فإن الدكتور شكري لا يستمسك بهذه النظرية ، لأن التركيز في نظره على تضافر الثقافات يظل ناقصاً لأنه يتشبث بالقوالب المادية ويهمل شخصية الأديب ونفسيته . ومن أبرز عوامل الشخصية ، **العاطفة والخيال** . فهي نظرية تظلم الأديب « لأنها تهدر أثره الفردي في الإبداع الفني » .

وإذن فالنظرية الثقافية تصلح لدراسة تطور الحضارات واستقراء عناصرها المتمثلة في تزاوج الثقافات ، ولكنها لا تصلح وعاءً لدراسة الأدب بصورة عامة ، والأدب العربي بصورة خاصة ...

**٥ ــ نظرية المذاهب الفنية**

هذه نظرية مغرية ، موضوعها دراسة الأدب العربي وفق اسس الناحية الفنية التي تسود في عصر من العصور الأدبية .

فابن رشيق مثلاً ، وهو من قدماء مؤرخي الآداب ، حاول أن يصنف الشعراء في أربعة زمر :

**شاعر خنذيذ** ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره .

**وشاعر مُفْلِق** ، وهو مجوِّد إلا أنه لا يروي لغيره .

**وشاعر فقط** ، وهو فوق الرديء بدرجة .

**وشعرور** ، وهو لا شيء .

ويأتي من المعاصرين الدكتور طه حسين ليبرز هذه المدرسة في كتابه الأدب الجاهلي . فهو يدرس زهيراً وأوس بن حَجَر والحطيئة وجميل بن معمر ، ويرى أنهم يشكلون مذهباً فنياً واحداً ومتكاملاً ، وخاصية هذا المذهب أنه يهتم باللفظ الرصين ويعتني بالأسلوب المتين ويجوِّدُهُ ويحفلُ بالعناصر المادية للتشبيه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمكن الاستفادة من هذه المدرسة في التعرُّف إلى **الشعر المنحول** . وهذا أمر مهم جداً ، لأن الشعر العربي لم يُدوَّنْ إلا بعد حياة الاستقرار ، بعد الفتوحات الكبرى .. وحين بدأ التدوين تدخلتْ العصبيات القبلية والعصبيات الشعوبية لاختلاق شعر مكذوب ينسبه مخترعوه إلى شاعر من الشعراء القدامى ..

فإذا طبقت النظرية الثقافية على شخصية شاعر وعرف الباحث عناصرها الإبداعية والفكرية ، جاز لنا أن نقول عن أبياتٍ إنها من شعره أو أنها منحولة عليه . ولكن هذا القول يصح من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية ، فالجزم بنسبة الشعر إلى الشاعر لا يخلو من مجازفة غير مضمونة !.. ثم إنها كما ينتقدها الدكتور شكري تجازف بأن تنقلب الوسيلة عندها هدفاً والهدف وسيلة ، فتصنف المدارس الأدبية أولاً ثم تحاول أن

تقيس بها الأدباء ثانياً وبذلك تنقلب إلى عمل خيالي فيه مجال كبير للظن ..

وهذا سبب يكفي للتخلي عنها والبحث عن منهج آخر ، أو نظرية أخرى ، هي :

**٦ ـ النظرية الإقليمية**

ومؤداها أن تدرس الآداب ، لا ككل في البلاد الناطقة بالعربية ، وإنما وفق التقسيمات الإقليمية ، فهناك الأدب المصري ، والأدب السوري والأدب المغربي . فمثلاً أحمد الإسكندري قسم دراسة الأدب العربي إلى قسمين :

حالة اللغة العربية وآدابها في الممالك الشرقية .

وحالتها في الممالك الغربية .

ويقول جرجي زيدان : « من القواعد الثابتة في علم الطبيعة أن للإقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاءً باختلاف الإقليم .

وبناء على اختلاف الأمزجة باختلاف الإقليم فقد امتاز كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . فاشتهر أهل الحجاز بالرقة وأكثر شعرهم الغزل ، واشتهر أهل نجد بالبلاغة ، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب .. » .

وعلى هذا الأساس قسم الشعراء إلى سبعة أقسام بحسب مواطنهم : شعراء مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس والأندلس والمغرب وجزيرة العرب .

وكان من حظ الدكتور شكري أن الذي أشرف على رسالته هذه أستاذ عرف بتشدده الإقليمي هو الأستاذ أمين الخولي . ولكن عناد الأستاذ

لم يستطع ليَّ زند الطالب ، فكان أن تابع الدكتور شكري سيره في نظرته القومية إلى الأدب العربي .

وللأمانة فأنا عَلَّمْتُ طيلة حياتي أهمية البيئة الإقليمية في حركة الإجرام بعد أن استهوتني لفترة نظرية الوراثة .. ولكن شتان بين الانحراف الخلقي من البيئة الفاسدة ، وبين حركة ابداع منطلقة من روح شاعرية تتحسس بالواقع دون شك ، ولكنها تظل تحوم في الأجواء العليا ، التي هي مواطن الوحي والإلهام ..

وتعود النظرية الإقليمية في جذورها الأدبية إلى الفرنسي الأستاذ Taine ، ومنطلقها قاعدةٌ مادية هي أن لكل واقعة سبباً ، ولكل نتيجة مقدمةً . ولكن إذا صح تفسير القوانين المادية بهذه الحتمية المتزمتة ، فإن في الحياة الأدبية نوازعَ وأخيلةً وعواطفَ وإلهاماتٍ تتمرد على كل القيود والقوالب المادية .. وفي أيامنا نجد بروز نظرية نفسية في تعليل الإجرام ، إلى جانب نظرية البيئة التي يرفع لواءها عالياً الأستاذ الأمريكي سذرلاند .. وإذن فالعناصر الذاتية تبقى في حياة الأدب أقوى المؤثرات الإبداعية ...

ونحن الذين نشأنا على الإيمان بوحدة العرب ، نشعر بشيء من الصدمة والإمتعاض حين يراد أن يفرض على مشاعرنا مفهوم إقليمي لا يمكن أن تستسيغه نفوسنا .. وعلى أساس هذه النظرة ، قلب الدكتور شكري ظهر المجن لهذه النظرية أيضاً ..

إذن ، طالما أن كل هذه النظريات التي عرضنا لها لم تقنع المرحوم ولم تقنعْنا من بعده أيضاً ، فهل يجب أن تظل دراسة الأدب بدون منهج مقبول تسير عليه ؟ والجواب ! أبداً .. لقد نادى الدكتور فيصل بمنهج جديد ، خصص له القسم الأخير من كتابه .. وقد أوجز تعريفه له بقوله :

« وحدة في الهدف وكثرةٌ في الوسائل » .

وهذا المنهج يدعو إلى الافادة من النتائج التي وصلت إليها المدارس السابقة والحقائق التي توصلت إليها .. بحيث إنها تتعاون وتتضامن تضامناً مثمراً ، دون أن يخلط المنهج الجديد بين تلك المدارس أو يمزج بينها مزجاً أعمى ..

وهو يُبْقي على كل نظرية ، ويعمل على الانتفاع بما حققته ، مع بقائه مخالفاً لها في الأصل ..

وهو يعترف بأن هذا « المنهج الجديد » ليس منهجاً جديداً كل الجدة « ولكنه هذا التفاعل الذي تحققه المناهج المختلفة بعد توجيهها ولفتها هذا اللفت الخاص والخروج بها من منطقة الاستئثار الضيق بالدراسة الأدبية ، إلى منطقة التعاون الواسع » ( ص٢٢٦ ) .

« ... إنه نوع من التركيب الذي يعتمد الإبداع وأسلوبَ الجمع الذي يستند إلى الخلق » .

ولست أدري إذا كانت المناسبة مواتية هنا ، لأتساءل : عما إذا كان الدكتور شكري يدعو إلى مذهب انتقائي بين المذاهب الأدبية éclectisme نحن نتبناه في نطاق العلوم الجنائية ، وقد علّمناه في الجامعة قرابة نصف قرنٍ خاصة بعد أن استقرت النفس وهدأت ثورة الشباب وجموحه ...

وهذا ما انتهى إليه :

« نحن نرحب بدراسة أثر الأقاليم الإسلامية في أدبها .. ونحن نفرح بالتعرُّف الصادق إلى خصائص الجنس عند شاعرٍ أو كاتب .. ونحن نُكْبِر دراسةَ الثقافات وتفاعلها وما أَلْقَتْ على الأدب من ظلال وما أغدقت عليه من فكر . ونحِسُّ لذلك الأثَرَ في نشأة مذاهبَ فنية جديدة ، ونحن نتناول الدراسة الزمنية وما يكون من هذه الصلة بين الشعر والسياسة .. ومن هنا لم يكن المنهج الجديد قسيماً للمناهج السابقة ولا خصماً لها ، ولكنه توجيهٌ

وقد خصص الدكتور شكري كتابه المتألق والمتأنق ، لدراسة تطور الغزل العربي من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، من الذي قالت له فاطمة وقد مال بهما الغبيط :

« عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل » ...

إلى عمر بن أبي ربيعة .. الذي نقل عنه الرواة وهو يحتضر أنه أقسم بالله على أنه لم يرفع ثوبه على حرام .. أي أن غزله كان نفثات قلبٍ موجع يتغذى بالأوهام ... والكتاب كبير الحجم نسبياً يقع في ٥٨٤ صفحة وثلاثة أبواب خصصت للغزل الجاهلي والغزل في عصر صدر الإسلام والغزل في العصر الأموي . وقد برهن المؤلف عن تمكن من النصوص الأدبية ، وطاقة عجيبة على تحليلها واستخراج أعمق المعاني منها .. فهو يأخذ النص ، كَمَشَاهِدِ الارتحال والتجمل ، ووصف المحاسن ، ويتقصّى هذه الفنون في شعر عددٍ من مشاهير شعراء الجاهلية ، ويخلص إلى القول بأن الغزل الجاهلي يتّصف بأنه غزلٌ تشبيبي يُعنى بالمظاهر الخارجية ، ومنه ما يمتاز بالدّقة ومنه ما يظل سطحياً .. والمرأة عند الجاهليين شيء هام في حياتهم العاطفية والجمالية .. وجمالها هو الصورة المثلى للجمال ( ص١٧٨ ) .. وفي الحديث عنها كان امرؤ القيس مثلاً يتمتع بجرأة متناهية في القول الماجن .. وكان عنترة يتغزل باحتشام في عبلة ، لا يُسِفُّ. ولا يترخص في القول ..

وجاء العهد الإسلامي بمفهوم جديد عن الغزل ، اختار له الدكتور شكري نموذجاً من قول ابن قيم الجوزية في تمحيدة كتابه :

« الحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر بالمحبوب سبيلاً .. وأثار بها الهمم السامية والعزمات العالية إلى أشرف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلاً » .
وإذن فالحب في الإسلام – على حد قوله – ليسَ قَصْرَ هذه العاطفة

السامية على ارواء الهوى واشباع الغرض .. وإنما يجب أن يكون قوة حافزة ودافعة إلى تحقيق غايات الدين من إعمار المجتمع وإنشاء الأجيال المؤمنة ..

ويبدو لنا أن الغزلين الإسلاميين لم يَتَّقوا على هذا الفهم ، فقد انشطروا إلى شعراء أحبوا محبوباتهم حباً عذرياً وشببوا بهن إرواءً لعاطفة متقدة لم تُوَجَّهْ إلى غير الناحية الفنية المثالية ، كجميل بن معمر ، وإلى شعراءَ اتخذوا من الغزل مطية لإثبات شاعريتهم القوية ، ولم يَقْصِرُوا حبهم على بثينة والأخيلية ، بل عددوا النساء اللواتي تغزلوا بهن ، وتخلوا عن الأطلال ، وتمثلوا حضارة عصرهم فانعكست في هذه الموسيقية الطلقة الخفيفة التي تنطق بها قصائدهم ، وما أحلى ما قاله عمر بن أبي ربيعة في هذه الأبيات العفيفة :

نظرت إليها بالمحصَّب من منى ... ولي نظر لولا التحرُّج عازمُ
فقلت أصبح أم مصابيح بيعة ... بدتْ لك تحت السَّجْف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفلٍ ... أبوها ، وإما عبدُ شمس وهاشم

ويأتي على رأس هؤلاء المجددين عمر بن أبي ربيعة ، الذي خصه الدكتور شكري بدراسة عميقة ، وخاصة رائيته المشهورة ، بلغت أكثر من ثلث الكتاب ..

ويكفيني أن أقول في هذا المؤلف الرائع إنه عمل إبداعي حقاً ، ما أظن أن أحداً من المؤلفين في الأدب سبقه إليه .. وليس من الضروري أن نتبنى وجهةَ نظر المؤلف دون نقاش .. في كل ما قاله عن الغزل .

**ثالثاً ـ أبحاث أدبية أخرى**

وهذه الأبحاث كثيرة تناول فيها عدداً من المواضيع ، التي تتصف بأنها تتدفق من ينبوع ثر .. أذكر بعضاً من عناوينها .

١ ـ شفيق جبري الشاعر والشعر

ويقول عنه « إنه كان مشدوداً إلى ثروة أدبية عربية ، وكان مزوداً بتراث كبير . وهو ينفي عن أدبه وجود الرومانتيكية التي نقلها بعض الأدباء من الغرب . وجبري ، العربي الفخور بعروبته ، يطرب ليوم الجلاء فيقول :

أتكذب العين والرايات خافقةٌ   أم تكذب الأذن والدنيا أغاريد

٢ ـ البيان النبوي

وهو دراسة نشرتْها وزارةُ الشؤون الدينية الجزائرية بحث فيها أشكال البيان النبوي ( الأحاديث الشفوية والرسائل المكتوبة والخطب المرتجلة ) وأبرز القيم التي يتضمنها ( دينية وأخلاقية واجتماعية وشعورية ) ..

وقد قال في هذا البيان : « لقد تحقق له هذا المستوى الرفيع في الأداء ، وهذه الروعة في إخراج الكلام هذا المخرج أو ذاك ، وهذا الإعجاز المشتقُّ من الإعجاز القرآني والمتصل به .. حتى أن الرسول أحسه من نفسه فسماه جوامع الكلم » .

٣ ـ مقالة في الأستاذ محمد كردعلي

٤ ـ مقالة في محمد جميل بيهم

٥ ـ مقالة في الدكتور ميشيل حنا الخوري

٦ ـ مقالة في الشيخ محمد بشير الإبراهيمي

٧ ـ مقالة في الأستاذ المجمعي عز الدين التنوخي

٨ ـ مقالة في السيدة المرحومة عادلة بيهم الجزائري

وهذه سيدة فاضلة رائدة عملت بكل كرامة وثبات على نشر تعليم المرأة وتحريرها في اطار المثل الروحية السامية .. وقد قال فيها الدكتور شكري ما يلي : « لا بد أن تأخذ المرأة العربية مكانها .. لا بد أن تخرج من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إسَارِ الجهل إلى ضياء العلم ، ومن ربقة التأخر إلى أفق التفتح . ولا بد أن تخرج من ذلك في كثير من الحذر ، حتى لا تضل الطريق ولا تنزلق بها المزالق .. » .

وهذا قول جدير بالتأييد ، فتحرير المرأة ضرورة دينية وقومية واجتماعية ، وهو يعني تمكينها من ممارسة حقوقها الإنسانية والقانونية .. ولا يعني أبداً الانحلال والفساد ..

**٩ – مقال عن خير الدين الزركلي** الشاعر الرقيق . فقد درس شعره وأشاد بموسيقيته وامتدح عاطفيته الجياشة .. وفيما يلي أبيات اختارها من ديوانه الدكتور شكري :

يَجْني وأشكُرُ في الهوى يَدَهُ ... وطنٌ شَقيتُ به لأُسْعِدَهُ
آليتُ ، لا باليتُ بي ألماً ... وبه دمٌ حتى أضمِّدَهُ
يومي له ، وغدي له هبةٌ ... وعساي أحمَدُ في غدي غَدَه
كم ليلةٍ سامرتُ أنجمَها ... مترقباً في الشرق فرقدَه
ويح السياسة في تقلبها ... يسلو الحليمُ بها تجلده

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

**١٠ – مقالة عن الشاعر القروي ...**

وللقروي مكانة خاصة في نفسي ، ليس هنا مكان الإشادة بها ...

**١١ – دراسة مطولة عن كتاب « روح القدس في محاسبة النفس » لابن عربي .**

**١٢ – الصحافة الأدبية** . وهي دراسة مفصلة عن مجلة المجمع العلمي العربي في عشر محاضرات ألقاها عام ١٩٥٩ على طلبة معهد الدراسات العالية في القاهرة .

**١٣ – المصلحون** ، وهي مقالة بعنوان « بين تشرين الذي كان وتشرين الذي يكون » درس فيها دعوات الإصلاح التي نادى بها محمد عبده

ورشيد رضا وابن تيمية وساطع الحصري ، وفيها هجوم شديد على النُّعَرة الإقليمية ..

**١٤ ـ ثلاثة أحاديث في الإذاعة عن كتاب الثعالبي .**

وقد قال الدكتور شكري عن هذا الكتاب :

« إنه يتناول لوناً من ألوان التعبير الفني الذي يَعْتَمِدُ على عَقْدِ جملة من المشابِهات بين جملة من الأشياء ، لا يبدو أن بينها من الصلات ما يسمح بإقامة هذا التشابه . ولكن الشاعر بموهبته الفنية قادرٌ على أن يلتقط هذه المشابِهات ثم يعرضها على الناس » .

وفيما يلي مثل اختاره الثعالبي من شعر أبي تمام لتوضيح الفكرة :

مـا اليـومُ أولُ توديع ولا الثـاني    البـينُ أكثرُ من شـوقي وأحزاني
دَع الفـراقَ فـإنَّ الدَهرَ سـاعَدَه    فصـار أملكَ من روحي بجُثماني
بـالشـام قومي وبغدادُ الهوى وأنا    بـالرقمتـين وبـالفسطـاط إخواني
ومـا أظن النوى ترضى بما فعلتْ    حتى تجاوز بي أقصى خـراسـان
خَـلَّفْتُ بـالأفق الغربي لي سَكَنـاً    قد كان عيشـي بـه يحلو بحلوان

**رابعاً ـ كتب قديمة حققها**

هذه كتب قديمة ظفرت بولع الدكتور شكري وعنايته ، فعمل على إخراجها سليمةً من العيوب مبرأة من التصحيف والتحريف . وهذه الكتب هي :

١ ـ مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام .
٢ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للثعالبي ( أربعة أجزاء ) .
٣ ـ ديوان الشاعر الزاهد أبي العتاهية ، مع أخباره .
٤ ـ ثلاثة أجزاء من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر .
٥ ـ الوافي للصفدي ، الجزء الخامس عشر .
٦ ـ ديوان النابغة الذبياني ( صنعة ابن السكِّيت ) .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

هذا بالإضافة إلى سلسلة من المقالات لم ترد في هذا السرد ، في مجلتي المجمع والمعرفة . وقد قدم لائحة بها الدكتور عدنان الخطيب في دراسته الممتازة بعنوان « شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً »[1] .

وأود أن أشير إشارة خاصة إلى عمل كبير قام به الدكتور شكري هو **جمعه أهم أعمال الدكتور طه حسين** في ثلاثة أجزاء كبيرة ، انتقاها وأشرف على طباعتها . والذي دفعه إلى هذا العمل وفاؤه لأستاذه ، وهو المعروف بالوفاء ، ورغبته في وضع كتاب نفيس تحت أيدي الأدباء العرب .

وهاكم ما قاله عن طه حسين في مقال نشره في مجلة المعرفة ( عدد تشرين الثاني ١٩٧٤ ) :

« أَجَلُّ هو في عيني وفي نفسي من أن أتناول حياته ببحث ، أو أن أعرض لكتاب من كتبه بدراسة ، أو أن أتوقف عند جانب من جوانب أدبه بالتحليل ... فلم يكنْ عندي المؤلِّفَ ولا الباحثَ ولا الناقد ، ولم يكن عندي الأديبَ الذي لا يُجَارى ، وصاحبَ البيان الذي لا يُضاهى .. وإنما كان قبل ذلك الأستاذ .. ولا يحتمل وفائي لأساتذتي أن ألقاهم بغير النظرة الحييَّة . إني لأغضي حياءً منهم وتوقيراً لهم .. » .

**خامساً – العروبي الإسلامي**

أشعر بأن دراستي هذه تبقى ناقصةً ، إذا أنا اكتفيت بعرض أعمال الدكتور شكري دون أن أتحدث عن قناعاته الشخصية ، كما تظهر من كتاباته . وأبرز هذه القناعات ، العروبة والإسلام ، والربط بينهما ربطاً عضوياً لا انفصام له . فمن هذين الينبوعين الثَّرَّيْنِ ، تفجرت عدة دراساتٍ على جانب كبير من الغنى واستشراف آفاق المستقبل .

١ – **ففي موضوع العروبة** ، نلمس إيماناً راسخاً بوحدة العرب

(١) دار الفكر للطباعة ١٩٨٦ ، ص٤٨ و٤٩ و٧٢ و٧٣ .

لا يتزعزع ، كما نلمس عاطفة مقاتلة في حب اللغة العربية والدفاع عنها . ويعرف كل من كان على صلة به ما كان يعتمل في صدره من قناعة وحدوية بدت ظاهرة على سن قلمه منذ أمسك به يافعاً ، وظل على إيمانه الذي لم يساوره شكوك ، حتى أسلم الأمانة راضياً مرضياً إلى الأجيال الكثيرة من طلابه في شتى أرجاء الوطن العربي . وليس من عجبٍ في ذلك ، فقد كان أبناء جيله من الذين عاشوا تحت كابوس الانتداب والحماية الفرنسيين والبريطانيين يقاتلون لمستعمرين بكل وسيلة متاحة .. وكان أساتذتنا وقادة النضال الوطني يعلموننا أن مقارعة الأجنبي المحتل دينٌ وشرف وفريضة ..

ولم يكن معقولاً أن يبقى الدكتور شكري خارج الحلبة . فقد عمل مع أعضاء عصبة العمل القومي ، وكانوا من خيرة شباب الوطن .. وكتب في جريدتها معرضاً نفسه لغضب الانتدابيين .. وحين أعلنت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أصبح عضواً في الاتحاد القومي .. ثم اختير عضواً في مجلس الشعب الموحد . وحين وقع الانفصال في ليلة مشؤومة تداعى عدد من القوميين الوحدويين وشكلنا الجبهة العربية المتحدة من أجل إعادة ربط ما انفصم من الرابطة القومية .. وكان للجبهة قيادتان ، علنية وسرية .. وكان المرحوم أحدَ أعضاءِ القيادة السرية . وقد قاتل بالسيفين في سبيل إعادة دولة الوحدة ، ولكن كان للأحداث منطق آخر . ثم جمعتني به غِيَرُ الأحداث التالية خمسة شهور في المعتقل ، فألفيت فيه المؤمن الصابر على قضاء الله .

وكان رحمه الله يربط ربطاً قوياً بين قوميته وعقيدته ، ففي قناعته أن جميع الحروب والمآسي التي نزلت بهذه المنطقة ، بدأ بالحروب الصليبية ومروراً بالانتدابات الأجنبية وانتهاء بقيام إسرائيل ، إنما كان بسبب إسلامها أولاً واستمساكها بأهدابه .. وكان راسخ القناعة بأن هذه المآسي كانت قادرة على محق العروبة ومفاهيمها ، غير أنها إذا ظلت صامدة ولم تتمكن

الرياح العاتية من بعثرتها شذر مذر ، فإنما مرد ذلك إلى رسوخ الإسلام في النفوس ..

اقرؤوا له هذا المقطع من خطابه في حفل استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي : « في سنوات الوحدة الثلاث ، وهي أحلى السنوات في تاريخ الوطن وأحفلها بتجاربه وأقواها أثراً في مستقبله ومستقبل العروبة ، كانت في آذاننا أصوات من كل فج وفي نفوسنا تطلعات في كل أفق وفي قلوبنا آمال هي أغنى الآمال ... كنا نشعر أننا نصوغ من جديد حياة العرب بعيداً عن إقليمياتهم وعن تخلفهم ، وكنا نحس أننا نصل ما كان انقطع من هذا التاريخ ، وأننا بدأنا رحلة الوحدة بعد رحلة الإستقلال ...

ولكن التجربة ، وارحمتاه للوطن المتعثر ، آلت إلى غير مصيرها الطبيعي الذي كان يجب أن يحكمها وانفرط العقد وفي العين دموع .. » .

وهذا المقطع من مقال له في مجلة المعرفة عن « الرومانتيكية العربية » ( عدد كانون الثاني ١٩٧٤ ) :

« ولكن لماذا تظل الحركة العربية سلسلة من المفاجآت يشتد تواترها ثم يضعف ، فإذا هي في مكانها ..؟ لماذا تتخذ هذا الطابع الرومانتيكي ثم لا تجاوزه إلى ما وراءه من طابع عقلاني ..؟ » .

حتى وحدة ١٩٥٨ ، هذا الأمل الذي أعاد العرب من جديد إلى ساحة التاريخ ، وقهر للمرة الأولى - بعد صلاح الدين - تفرقهم ، حتى هذه الوحدة لم تعدم بعد ستة أشهر من كان يشرب الشاي في القاهرة ويقسم على قطعها .. هل كان تاريخ هذه المنطقة إلا هذه الحركة المتكاملة بين مصر والشام ؟ » ..

وأسأل : هل الذي بدأنا نسمعه من فترة قصيرة على ألسنة القادة في هذه المنطقة غير هذا الذي قاله الدكتور شكري ؟..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهل يلومه لائم ، حين يرفض تعبير « التضامن العربي » لأنه في نظره هرطقة وهل يقول قائل عن نظرته « بأن أي رفاه اقتصادي أو تقدم اجتماعي مستقل عن المجموعة العربية إنما هو رفاه مكذوب وتقدم خادع » بأنه ليس على صواب ؟..

ولن يجد المرء شغفاً صوفياً بحب اللغة العربية كشغف الدكتور شكري بها . وكان له نشاط ضخم في موضوع التعريب ، أي إعادة اللغة العربية إلى أهلها ، خاصة في البلاد المغاربية التي أفسدها فيها الاستعمار ، والجزائر أقبح صورة لما جنى فيها الاستعمار الفرنسي خلال قرن وثلث .. حيث حارب العروبة واللغة والإسلام حرباً لا هوادة فيها ..

ومن كتابات المرحوم في هذا الصدد ما يلي[١] :

« إن القَدْرَ الذي يحتاج إليه الوطن العربي من التقدم العلمي ومن شيوع المعرفة العلمية ومن تحديث الفكر المعاصر ، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق اللغة العربية » . وهو يعرِّف اللغة العربية تعريفاً شاعرياً ينم عن احساس عميق بعظمة هذه اللغة ودورها الحضاري ، في كتابه « المجتمعات الإسلامية »[٢] فيقول : « اللغة ليست إلا نسيجاً من أفكار وأَنْظار ، تزينه وتُحَلِّيه عواطف ومشاعر . ووراء الغلاف اللفظي لكل كلمة ، تستقر حقيقةٌ من الحقائق التي يؤمِنُ بها الشعب أو شحنةٌ من الانفعالات التي يخضع لها ..

والعقائد الكبرى والأساطيرُ والمُثُل ، إنما تتبلور جميعاً في ألفاظ اللغة وكلماتها ..

فلغتُنا ليستْ هذه الألفاظَ الجامدةَ التي تَتَضَامُّ فيها الحروف ، ولكنها

(١) في بحثه « الدراسات الإسلامية اللازمة لمدرسي اللغة العربية » الرياض ١٠-٣-١٩٧٧ .

(٢) ص٢٢٦ .

هذه الأصوات العميقة التي تتركز فيها عواطفُنا وأفكارنا وتصوراتُنا البعيدة . ولكل صوتٍ منها شمولٌ عريض ومدى واسع ونفاذٌ خاص ، وفي أصدائه وحناياه تعيش المخلفاتُ الفكرية والعاطفية لكل القرون التي تقدمت قبلنا » .

وعنده أن عبء التعريب يجب أن تقوم به المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد .

وتتلخص نظرته إلى واقع اللغة العربية في بحثه الذي قدمه إلى الندوة التي أقامها اتحاد مجامع اللغة العربية في عَمَّان في شهر كانون الأول ١٩٧٨ كما يلي :

١ ـ يجب أن تكون اللغة العربية واحدة على امتداد الوطن العربي .

٢ ـ وأنها قضيةٌ تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله .

٣ ـ وعليها أن تتحدى اللغات الأجنبية ، لصد أخطارها من جهة ، ثم للتفاعل معها لمواكبتها في طريق التقدم ..

٤ ـ وهي وسيلة الجمع بين أبناء العروبة الذين عصفت بهم أيدي التمزق .

ولكنه لا يتردد في الدعوة إلى فتح النوافذ على لغتنا ، من أجل إدخال التجديد فيها . والتجديد يجب أن يقوم على ثلاثة أسس هي :

١ ـ طواعية اللغة ، وأفهم من هذا القول ، تخليصها من كل تعقيد يجعلها عسيرة المأخذ والاشتقاق .. أي مراجعة قواعد النحو والصرف بصورة خاصة .

٢ ـ يسر الأسلوب وتبسيطه .

٣ ـ الخلاص من الزخرف بصورة نهائية .

ولا أريد أن أمر مرور الكرام بالمبدأ الثالث ، وهو « **تفاعل العربية مع اللغات الأخرى** » ، لأن هذا المبدأ الأساسي يفرض علينا تقوية اللغة في مدارسنا الثانوية وفي جامعاتنا .. لا لكي ينجح الطالب في امتحان اللغة

الأجنبية ، وإنما لكي تصبح لغة مراجعة ودراسة جديتين ، يُعَوِّضُ بها عن نقص المؤلفات العربية في جميع نواحي المعرفة ، من فلسفة وقانون وطب وعلوم وتكنولوجيا .. فليس سراً أن المكتبة العربية ، على امتداد الوطن العربي ، تشكو في هذه المراجع نقصاً لا يغتفر .. والمراجعة في اللغة الأصيلة تفوق قراءة الكتب المترجمة .. خاصة إذا كانت الترجمات سقيمة ..

٢ – **وفي موضوع الإسلام** ، أشير إلى أن الدكتور شكري مؤمن ممارس للشعائر الدينية . وكل الذين يعرفونه يعرفون أن باطنه في هذا كظاهره الطيب .. وهو كذلك من **دعاة التراث بصورة عامة** . ولقد وقفت عند هذه المسألة لأشير إلى أن المرحوم يريد من هذا التراث أن ينسجم مع مقتضيات التطور العلمي والاجتماعي . ففي بحثه الذي قدمه إلى ندوة مجامع اللغة العربية المنعقدة في عمّان عام ١٩٧٨ يقول مايلي :

« إذا كانت الحروب الصليبية وحروبٌ أخرى بعدها لم تُعْطِ الغربَ الأوربي ما كان يطمح إليه من تفوق ، فإن **الركود الإسلامي** أعطى هذا الغرب أثمَنَ فرصة حين ساعد بضعفه على أن يجد المسلمون أنفسَهم في موقف التخلف . وقد حارب الاستعمار اللغة العربية لكي يضعف العقيدة الدينية .. » .

ومن شدة حرصه على سلامة العقيدة والتراث ، كان ينظر بحذر شديد إلى غالبية المستشرقين ، وخاصة الأوائل منهم . فقد كان يجد دراساتهم بعيدةً عن الموضوعيةِ في البحث ، وعن الطهارة في الهدف[1] ، لأن أبحاث الاستشراق تصب ، في نظره ، في دوائر وزارات الخارجية أو المستعمرات أو التبشير ...

وتقتضيني الأمانة العلمية ألا أذهب معه إلى نهاية تفكيره ..

فقناعتي أن هؤلاء المستشرقين الجواسيس هم القلة .. أما هؤلاء الذين

(١) مقاله « على هامش مؤتمر المستشرقين » الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ .

أحبوا الحضـارة العربيـة وسـاعدوا في نشر كنوزها ، وألفوا عنها المؤلفات العميقـة والرائدة ، وعلّمونا طرق البحث في تاريخنا وآدابنا ، فإنهم الكثرة الكاثرة .. ولقد عرفت من بينهم ، رحمهم الله ، من كانوا أساتذة لي ، وكانوا يعلنون عن ضرورة احتلال الحضارة العربية مكانها المرموق .. حتى أن منهم من شارك العرب في مظاهراتهم التي طالبوا فيها باستقلال الجزائر وفي قلب باريس ... ولن أذكر من أعمـالهم الرائعة إلا L' Encyclopédie de L' Islam ومؤلفـات بروكلمـان وبلاشـير و Gibb وغوستاف لوبون وغولدزيهر .. وليس من حقنا أن نرميهم جميعاً بسوء القصد ، إذا توصلوا في أبحاثهم إلى نتائج لا نستطيبها ... والمرحوم لم يعمم القول فيهم جميعاً ، لأنه استثنى من سماهم « الأنقياء » الذين قال عنهم :

« وعلى هذا الطريق تلقى الذين يموتون وهم يقلبون صفحات الكتب بحثاً عن حقيقة ، والذين يبحثون عن أشباه الحقائق يميتون بها الشعوب » .

وحين عالج موضـوع ما يسميه « **الصحوة الإسـلامية بين الواقع والطموح** » في بحث له تحت هذا العنوان ، قال :

« إن أبرز ما تَعْنيهِ الصحوةُ اللَّحاقَ بالركب الإنساني . إنها تتمثل في إنسـانٍ نائم خَلَّفتـه القافلة وراءها ، ثم صحا فوجد نفسَـه في مثل حالة الضياع ... فمضى يسعى وراء الركب . وإني أرد هذه الصحوة إلى أنها مظهر من مظاهر التململ وأن لها أثراً تخديرياً » .

ويسوق عدة أمثلة على عدم صحة هذه الصحوة المزعومة .. الثورة الأفغانية والتقاطع بين أقطار الإسلام والدماء التي تسيل أنهاراً على حدود الديار الإسلامية ، والأُميَّة التي تصل إلى نسبة ثلاثة أرباع المسلمين ... ويتساءل « كيف نتحدث عن صحوة إسلامية إذا كنا لم نستطع أن نحقق الحد الأدنى الحضاري »؟

ويطالب بعد ذلك بقوة « **بالتحول إلى صحوة إسلامية فاعلة** » يجب أن تَعْني في نظره « تَعَمُّقَ الأساس التنظيري الذي جاءنا من عند الله .. تعمق فهمه وتعمقَ فقهه دون أي خروج عن نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة أو ما التقى عليه إجماع المسلمين ..» .

وهذا في نظري هو العمل المثمر للتوفيق بين التراث ووجوب فهمه بنصه وبروحه ، في ظل مقتضيات العصر .. حتى يصح لنا أن نقول بحق : إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .. غير أنه يضع شرطاً جديراً بالتأييد ، هو الآتي :

« إن الحركة الإسلامية لا تتطلع إلى سلطة أو تحكُّم ولا تسابق أصحاب السلطة والحكم عليهما . وعلينا أن نستخدم ما يسمونه الديمقراطية بأصح معانيها ، لأن الصحوة تريد أن يتاح للشعوب في حكومات الإسلام أن تحقق وجودها ..» .

وقد أوضح رأيه في موضوع ممارسة الديمقراطية في مقال له عن « حركات الاصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي »(١) قال فيه :

« وليس للشورى شكل واحد ثابت لا يقبل التغيير ، ولكنَّ لها مفهوماً ثابتاً لا يقبل جوهرهُ التغيير . والقرآن الذي أقر المبدأ لم يتناول **من قريب أو بعيد الشكل** . وقد حاول جمال الدين الأفغاني نشر مبدأ الشورى فحورب بشراسة . **أما العلمُ** فليس شرطاً من شروط النهضة بل هو النهضة بذاتها » .

وقد حَلَّقَ عالياً حين كتب في مقاله « نحو حضارة عربية جديدة »(٢) مايلي :

« حين ننظر إلى أقطارنا العربية ... تُرَوِّعُنا مسافةُ هذا الخُلْف بيننا وبين الحضارةِ المعاصرة . وأقسى ما يروعنا أننا لا نصنع الحضارة ، وإنما نحن

(١) من كتاب وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية والإسلامية .

(٢) نشره في مجلة المعرفة ، شباط ١٩٧٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون .. لذلك يجب علينا أن نحقق هدفين متكاملين : اللحاقَ بالركب الحضاري والإسهامَ في قيادة هذا الركب ... وقد كان لنا ماضٍ حضاريٌّ متميز .. فلماذا يظل الوطنُ العربي خارج دائرة الإسهام الحضاري ؟ » .

ويضرب مثلاً على تقدم الشعوب التي كانت نائمةً فاستيقظتْ : اليابانَ « التي استطاعت أن تُحطم أسطورةَ التخلف الشرقي ، وتزرع في ملايين الملايين من الشرقيين خُضْرةَ الأمل » حسب تعبيره .

ولكن من الذي يعمل على بقائنا متخلفين ؟ في رأي الدكتور شكري المسؤول عن تخلفنا هي « هذه القوى غير المجهولة .. قوى أعداء الإنسانية الذين يؤمنون بالتمايز ويضعون الشعوب طبقات ... أولئك أكلة لحوم البشر الذين يختلسون ثروات هذه الشعوب ويُجْهضون ثوراتها .. » .

ونحن أليست لنا مسؤوليةٌ مباشرةٌ وضخمة في تخلفنا ؟ يقيناً لو أن الله مَدَّ في عمره فعاش أحداث ١٩٩٠ و١٩٩١ المنكبة على الساحة العربية ، لكان أدخل تعديلاً جذرياً في تفكيره القومي وفي تحديد المسؤولية عن أسباب تخلفنا ...

وما هو سبيلُ سلامة العرب ومنطلقُ تقدمهم ؟ جوابه هو أنَّ دخول العرب التاريخ الحضاري يجب أن يبدأ **بتحريك الوحدة العربية** : « لأن الذين تلهيهم أو تقنعهم في الوطن العربي الممزق بعضُ المنجزات التي استطاعوا أن يحققوها ، فإن عليهم أن يَحْسِبوا قبل أن يفرحوا بما أنجزوا ، المدى الذي لا يزال يَفْصِلُ بينهم وبين الحضارة الموصَدَةِ مِنْ دونهم ..

وإذن فطريق الوحدة وحده بالنسبة إلى العرب هو الذي يمكن أن يكون إنْهاءً لمرحلة القِرْبَةِ المقطوعة . ذلك أن الذي نعملُهُ لا يعدو كثيراً أن يكون وهمَ محاولةٍ لملء قِرْبَة مقطوعة ...» .

ومن عجب أننا نشهد اليوم ميلاد عملاقٍ ضخم في أوربا ، التي

تناست دولُها أحقادها القديمة والدماءَ التي سفحت بغزارة في ساحات الحروب قروناً طويلة واندمجتْ في مجموعةٍ اقتصادية كبرى ، وهي تعمل جاهدة على الذوبان في كيانٍ سياسي مُدْهش .. ومع ذلك فنحن ننظر كالمبهوت الذي لا يتعظ ولا يستوعب ...

وكل ما قاله الدكتور شكري في أسباب التخلف العربي بشيء من التعميم ، يتساوق خير تساوق مع الصرخات المدوية التي ارتفعت في عصرنا تطالب بتجديد الفكر العربي .. والفكر الإسلامي أيضاً ..

« فالشيخ محمد عبده قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد ، فاستعمل عقله الحر في بحوثه ولم يَجْرِ على ما جَمَدَ عليه غيره من أفكار المتقدمين »[1] .

بل إن مفكراً إسلامياً من طلابنا في جامعة دمشق ، هو الدكتور فاروق النبهان يذهب أبعد من ذلك فيقول :

« ظهر في العصر الحديث لونٌ جديد من التفسير يختلف عن المدارس السابقة التي عرفناها . ويهتم هذا التفسير بالجوانب الأدبية والاجتماعية التي يشتمل عليها النص القرآني .. وقد لاقت هذه المدرسة قبولاً طيباً لدى الناس »[2] .

ويضرب الأستاذ مصطفى الزرقا مثلاً ملموساً عن تطور التفسير الفقهي في أيامنا هو نص المادة ٢٢ من قانون الأحوال الشخصية . فقد قرر واضعو هذه المادة أن طلاق السكران والمدهوش والمكره لا يقع ، وكذلك لا يقع الطلاق ثلاثاً إذا تم بلفظ واحد ، كما أجازوا تفويض المرأة بتطليق نفسها . ويقول إن هذا التجديد جاء خلافاً لرأي الأئمة الأربعة أخذاً من فقه

(١) انظر الشيخ محمد حسين الذهبي ، المفسرون والتفسير ج٣ ص٢٢٠ .
(٢) في كتابه نظام الحكم في الإسلام ص٣٤٠

الإمامين ابن حزم وابن تيمية رضي الله عنهما .

ومنذ العشرينات من هذا القرن أدرك فقيه كبير هو الأستاذ شاكر الحنبلي[١] مدى أهمية تحديد معنى الربا في الشريعة الإسلامية ، فقرر في دراسة مُدَعَّمةٍ بالحجج بأن الودائع المصرفية لا تدخل في مفهوم الربا المحرَّم ..

وهو مذهب أيده الدكتور معروف الدواليبي في دراسته التي قدَّمها عام ١٩٥٢ إلى مؤتمر إسلامي عقد في باريس . وجاءت فتوى المفتي العام للجمهورية المصرية الشيخ سيد طنطاوي منذ وقت قريب تفتح الباب أمام تحرير الرأس المال الوطني وتمكين المصارف المحلية من القيام بأعباء التنمية ودعم الصناعات وتأسيس شركات كبرى تقوى على المزاحمة في مصطرع دولي لا يرحم ، في زمن أصبحت فيه الشركاتُ عابرةُ القارات أُخطبوطاً هائلاً تهدد برأسمالها الفلكي كلَّ الاقتصادات الصغيرة .

ومن أسفٍ أن دار الإفتاء في مصر لم تتحرك إلا بعد أن فَقَدَ مئاتُ آلافٍ من صغار المدَّخرين أقوات أُسَرهم بسبب تلاعبِ مجموعاتٍ من الذين لا يخافون الله ، تحت ستارٍ شرعي مزعوم .

ولا يجوز أن يكون ذلك خاتمة المطاف ، بل بدايةً صحيحة للشوط الذي يدمجنا في العصر ، ويجعلنا نساهم في إنشاء الحضارة لا أن نستهلكها ونَنْعَم بفتاتِ موائدِ المتقدمين ، كما ذكر المرحوم شكري ..

ومن المهام التي تقع على عاتق المجتهدين ، ولستُ منهم ، مسألةُ رفع العوائق التي تقف في سبيل نوال المرأة حقوقها ، تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ . وهو مذهب نادى به المرحوم أيضاً .. ومن

(١) الأستاذ البارز في معهد حقوق دمشق ( كلية الحقوق الحالية ) .

الأمثلة على هذه العوائق منعُ شهادة المرأة في الحدود والقصاص ، ومسألةُ تحديد ديتها بنصف دية الرجل .. وهي حلولٌ رسخت من قِدَمٍ ، دون أن يكون لها سندٌ في الشريعة السمحاء ... وبصورة عامة فتح باب الاجتهاد واسعاً لإعادة النظر في تفسير التراث تفسيراً منفتحاً على العصر ، ليكون قادراً على مواكبة التطور والخلاص من الجمود الذي تردى فيه ...

أيها السيدات والسادة :

إني أعرف أنني لم أُوَفِّ سلفي الكبير حقه ، لا من حيث تعدادُ ما دبجته يراعته من كتب وأبحاث مشرقة ، ولا من حيث تحليلُ مضامينها وتأثيرها في الأدب والاجتماع وتطوير الفكر العربي والفقه الإسلامي . وقد قدمت لكم غيضاً من فيض وباقةً من بستان ..

ولن أجد خاتمة لهذا الخطاب خيراً من قول شاعر قديم :

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

والسلام عليكم ورحمة الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# حفل استقبال

## الزميل الأستاذ جورج صدقني

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م ( الدورة المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م ) الأستاذ جورج صدقني عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ( ٢٠٦ ) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ صدقني في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كردعلي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها ثلة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين ، وشكر لهم شهودهم هذا الاحتفال الذي أقامه المجمع ، وهنأ الأستاذ صدقني بثقة زملائه المجمعيين به واختيارهم له زميلاً كريماً يعزز مسيرتهم في تحقيق غايات المجمع المباركة .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي هنأ فيها زميله المجمعي ونوه فيها بمزاياه الخلقية والعلمية وذكر طرفاً من سيرته .

# كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

## نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أهلاً بكم في رحاب مجمع الخالدين، وشكراً لكم أن تشهدوا معنا هذا الاحتفال نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ جورج صدقني.

لقد تمَّ انتخاب الأستاذ صدقني عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م)، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٦ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[1].

وإننا لنهنئ الأستاذ صدقني ثقة زملائه المجمعيين به، واختيارهم له زميلاً كريماً، يعزّز مسيرتهم، ويشدُّ من عضدهم، يمضون معاً في تحقيق غايات المجمع، لتظلَّ العربية المبينة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة، تجاري اللغات العالمية، تغنيها وتغتني بها.

لقد ولد الأستاذ صدقني ونشأ في الثلاثينات، تلك السنوات التي شهدت نضال شعبنا العربي لانتزاع حريته واستقلاله من مستعمريه الذين ظنوا جهلاً أنه قد استتبَّ لهم كل شيء بعد أن قضوا على الثورة السورية الكبرى التي شبّ أوارها في العقد الثالث من القرن، وقدّم فيها شعبنا العظيم آلاف الشهداء، وعانى من فظائع المستعمر أشدَّ ما عاناه شعب. ولكن

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٦٦، ج٣، ص٥٧١ (تموز/١٩٩١م).

جذوة النضال لم تخمد ، وهبَّ الشعب من جديد بعد أن أعدَّ واستعدَّ ، وفوجئ المستعمر بمعركة أخرى من معارك شعبنا قد استعر لهيبها في كل مكان . كان الكفاح في سورية قد بلغ أشده ، وكانت الثورة في بطاح فلسطين تدافع عن الأرض والوجود ، وتتالت المعارك متتابعةً لا تتوقف حتى عام ١٩٤٥م .

وكان صدقني ابن بيئته الشعبية ، يصغي إلى أحاديث جمهرة الشعب ، وينفعل بعواطفها المتأججة حباً للحرية ، وشوقاً إلى النضال ، وحنقاً على المستعمر الغاشم . فامتلأت نفسه وتروّى بما رأى وسمع ، ونشأ هذه النشأة الوطنية ، وصار من أكبر همومه ، على صغر سنه ، التفكير في مصير الوطن ، وطرق انتزاع الحرية .

لقد كان صدقني في الرابعة عشرة من عمره حين حدثت مجزرة البرلمان ، وعدوانُ فرنسة الغاشم في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥م ، الذي أرادت به أن تجدّد عدوانها الذي ارتكبته في الجزائر الشقيقة في الثامن من أيار ١٩٤٥م ، فقضت على الألوف من المواطنين الجزائريين الآمنين الوادعين .

وشاء الله أن تكون يد الحق هي العليا ، وانتزع شعبنا حريته واستقلاله وكان الجلاء العظيم في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦م ، فُفتحت الأبوابُ مشرعة لتعاظم حركة النضال العربي ، وأحرزت البلاد العربية استقلالها واحدة إثر واحدة ، وتُوّج ذلك كلُّه بالنصر العظيم باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢م .

وبدأت سورية بعد إشراقة فجر الاستقلال حياتها الجديدة الحرة ، وأخذت الأجيال العربية الجديدة ترسم صورة المستقبل العربي وتخطّ طريقه ، وتطلعت إلى الحركات العربية التي تستجيب لطامحها وآمالها . وهنا نجد الإجابة الصادقة في تطلع الأستاذ صدقني إلى الالتحاق بحركة البعث العربي

في تشرين الأول ١٩٤٦م . وكان آنذاك طالباً في المرحلة الثانوية باللاذقية ، لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

إنه نموذج الجيل العربي الجديد الذي نشأ في أيام الاستعمار فشارك في التظاهرات والاضرابات ، فلما أشرقت شمس الحرية انضم إلى المؤسسات التي تلبي مطالبه وتطلعاته .

ولقد رأى الأستاذ صدقني في حركة البعث العربي ما يُرضي طموحه وتشوّفه : فقد رفعت : وحدة النضال العربي لتحقيق الوحدة العربية ، وشعار الحرية ، والدعوة لاقامة العدل الاجتماعي والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان .

وشارك الأستاذ صدقني في نشاط الحزب ، وقاسم رفاقه تبعاتهم ومسؤولياتهم الحزبية . وانغمس في ميادين السياسة ، والفكر السياسي . وتولّى وزارة الإعلام في السادس والعشرين من أيلول ١٩٧٣م ، فبذل ما بذل ليرتفع بمستوى الإعلام إلى مستوى بطولات المقاتلين وتضحيات الشهداء في حرب تشرين التحريرية ( ١٩٧٣م ) .

ولا يزال الأستاذ صدقني يتابع نشاطه الفكري السياسي ، وقد نضا العام الخامس والأربعين من حياته الحزبية .

أيها الحفل الكريم

لقد قلت ما قلت ، وعيني وقلبي يتطلعان إلى ما يحدث اليوم في مدريد . لقد ناضلت الأمة العربية النضال الطويل لتسترد حريتها ووحدتها وعزتها منذ أن صدّت غزوة نابليون عن ديارها عام ١٧٩٨م حتى اليوم . وعانت الأمة العربية ما عانت طوال مئتي عام ، وقدمت من التضحيات ما لم تقدمه أمة قط . وقد وقف لها الاستعمار بالمرصاد يعوق تقدمها ، ويعرقل مسيرتها ، ويفتنّ في أساليبه الماكرة ليحول دون وحدتها وازدهارها .

ولقد كانت الصهيونية أخطر ما تفتقت عنه أساليب المستعمرين فزرعوها في قلب الأرض المقدسة فلسطين ، ليحولوا دون وحدة الأمة العربية .

وهانحن نشهد اليوم انعقاد مؤتمر مدريد ، فهل نتوقع أن يكون مبدأ الفجر الذي نتطلع إليه ؟ أرجو وآمل والله الموفق والمستعان .

أعود فأرحّب الترحيب كله بالزميل العزيز ، يشارك زملاءه المجمعيين في أعمالهم وهمومهم وتطلعاتهم ، تظللنا جميعاً راية العربية المبينة التي نجد فيها أمننا وسلامتنا ووحدتنا .

لقد أحب الأستاذ صدقني العربية حباً جماً ملك عليه نفسه ، فعني بها أتم العناية ، وتوخّى في كتابته السهولة والفصاحة ، ووفر لعبارته أناقة اللفظ وجمال الأسلوب . وتميزت صياغته بالوضوح والبيان . وأحب الأستاذ صدقني أن يشارك المشاركة الجادة في نهضة قومه الفكرية ، ورأى أن خير ما يقوم به أن ينهج نهج الأسلاف العرب في نهضتهم الأولى حين نقلوا إلى العربية تراث اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم ، فأكب على اختيار المصادر الينابيع ينقلها إلى العربية وشارك في نقل تراث الإنسانية ليكون في متناول أبناء العربية .

ليس من همي أن أتحدث عن سيرة الأستاذ صدقني ، أو أعرض لآثاره وإنما هي كلمة قصيرة أقدمه بها .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع فيلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويتحدث عن سيرته العلمية ، وآثاره ، ليتلوه الأستاذ جورج صدقني فيعرض لنا جوانب من سيرة سلفه الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد رحمه الله ، وما كان له من جليل الشأن في عالم الفكر ودنيا الناس .

# خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

## في حفل استقبال الأستاذ جورج صدقني

أيها الحفل الكريم .

لقد أسعدني حقاً أن كلفني مجمع اللغة العربية الموقر استقبال العضو العامل الجديد الأستاذ جورج صدقني . والأستاذ صدقني صديق قديم عرفته منذ زمن بعيد قريب معاً ، منذ ثلاثة وأربعين عاماً عندما عينت مدرساً للفلسفة في اللاذقية . وإن فاتني أن ألقاه وهو على مقاعد الدراسة ، لكونه أنهى المرحلة الثانوية قبيل مباشرتي العمل ، فقد كنت ألقاه بين الحين والآخر في مدينته الجميلة . وإني أذكر جيداً أن نظرته إلى التفكير الفلسفي كانت ، منذ ذلك الحين ، عميقة الاتصال بهموم الحياة القومية وبالتطلع الدائم إلى نهضة أمتنا العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما عُينت في جامعة دمشق توقعتُ أن أراه منتسباً إلى قسم الفلسفة ، بعد أن لمست شغفه الشديد بمتابعة هذا الأسلوب من التأمل والعمل . ولكني علمت أن ظروفاً مادية صعبة دفعته إلى الالتحاق بالتعليم الابتدائي مدة عامين . ثم ما لبث أن نجح في مسابقة حكومية أوفد بعدها لدراسة الفلسفة في جامعة دمشق . وعند ذلك أحس بأنه وجد طريقه المفضل .

لن أتحدث عن مرحلة دراسته الجامعية . ويكفيني أن أشهد بأنه كان متفوقاً لامعاً يمثل الأمل العريض لمستقبل الأجيال العربية .

للأستاذ صدقني اهتمامات متنوعة ابدأ بالإشارة إلى كتب وبحوث نقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وأول ما ترجم كتابٌ لكارل يسبرز بعنوان مدخل إلى الفلسفة . والكتاب مؤلف من مجموعة من الدراسات عرض فيها يسبرز خصائص الفلسفة الوجودية بمعناها الإنساني والمنفتح على ارتباط الفرد بالعلو ،أي بما يتجاوزه ويضعه وجهاً لوجه أمام مسؤوليات التحرر وتحقق الذات تجاه المصير . ويمتاز الكتاب بالوضوح والسهولة كما تمتاز الترجمة العربية بالدقة وجمال التعبير .

والكتاب الثاني لفرانسوا شاتليه عن فلسفة هيغل . وهو كتاب يشهد له الباحثون بعمق الدراسة وبطابعها الشامل . ولا شك أن اطلاع القارئ العربي على مذهب هذا المفكر العالمي يضعه أمام منبع أساسي من منابع الفكر المعاصر في صوره المختلفة .

وكتاب ثالث ممتاز ترجمه الأستاذ صدقني هو كتاب لجان هيبوليت بعنوان « دراسات في ماركس وهيغل » . ولا شك أن المؤلف هيبوليت قد كان راعياً للدراسات الهيغلية والماركسية الكثيرة في ميدان الفكر الفرنسي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب الرابع كان لروبينيه عن الفيلسوف جان جوريس . وكلنا يعرف أن جوريس قد ربط ربطاً وثيقاً بين الفلسفة النظرية وبين الاشتراكية النابعة من النزوع الديموقراطي ومن النظرة الأخلاقية .

والكتاب الواسع والغني فعلاً هو لجان جاك شوڤاليه عن أمهات الكتب،السياسية وفيه عرض واضح ودقيق لأفكار مكياڤلي ولوك ومونتسكيو وفيشته وتوكفيل وماركس وموراس وسوريل ولينين . وهو كتاب استعين به في التدريس بالمعهد العالي للعلوم السياسية .

أما البحوث التي نقلها الأستاذ صدقني فأهمها لبول ريكور الفيلسوف الفرنسي المعاصر والتي تدور حول فكرة المفارقة السياسية وفكرة العلاقة بين القول والعمل .

وأحب أن أشير هنا إلى مسألة فيها طرافة ودقةُ ملاحظة تتصل بمفهوم الأمة في اللغات الأجنبية وفي اللغة العربية . فقد كتب الأستاذ صدقني يقول : « *لقد رأى المترجمون أن كلمة Nation تقابلها كلمة ( أمة ) في* اللغة العربية . هذا صحيح ، أو ليس خطأً على الأقل . ولكن الخطأ حصل عندما ظن المترجمون أن كلمة Nation تعني ( أمة ) دائماً ، وفي كل الأحوال ، وأنها لا تعني شيئاً آخر ، في حين أن المطلعين على خفايا اللغة الفرنسية يعرفون أنها ، في كثير من الأحيان ، تعني ( الأمة – الدولة ) ... أو الأمة التي أصبحت دولة . وعلى سبيل المثال : ان اسم منظمة الأمم المتحدة باللغات الأجنبية يدل على أنها مؤلفة من Nations فترجم اسم المنظمة إلى العربية على مألوف العادة ، فقيل إنها منظمة مؤلفة من أمم ». ولا يخفى على أحد... أن عضوية المنظمة لا تُمنح للأمم بل للدول . إن لغتنا العربية تفصل مفهوم الأمة عن مفهوم الدولة فصلاً تاماً ... ذلك أن الأمة العربية مجزأة إلى دول متعددة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن الأمور المتصلة بهذه المسألة أن الأجانب ترجموا كلمة « العروبة » ترجمات مختلفة أدت إلى حدوث نوع من الالتباس . فمنهم من ترجمها بكلمة Pan – Arabisme . وأرجح الظن أنهم ترجموها على هذا النحو مدفوعين بنيتهم السيئة في الاساءة إلى معنى العروبة ، لأننا لو أعدنا ترجمة هذه الكلمة مرة أخرى إلى العربية ، لما وجدنا لها مقابلاً أفضل من « النزعة التوسعية العربية » . ومنهم من ترجمها بكلمة Arabisme لكي يخلّصها من صفة النزعة التوسعية . ولكن هذه الترجمة مع ذلك ظلت تواجه مشكلة حقيقية : فهي – فضلاً عن أنها لا تؤدي من معاني العروبة إلا المعنى الحركي – توحي للقارئ الأجنبي بأنها نزعة توسعية أيضاً ، لأنها تذكر بالنزعة الجرمانية Germanisme . والتي عانت الشعوب الأوربية منها الأمرّين . وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الأوساط تستخدم كلمة

Arabité للدلالة على معنى « العروبة » ... وفي رأينا أن هذه الكلمة أفضل من غيرها ... لأنها تخلصها في نظر الأجانب من سمة التوسع والعدوان المزعومة ... ولكن هذه الترجمة تعاني من نقص أساسي هو عجزها عن التعبير عما تحمله العروبة في طياتها من معنى حركي . باعتبارها حركة نضالية تحررية . ثم ينتهي إلى القول : « إن العروبة لا تعبر عنها تعبيراً مطابقاً إلا كلمة العروبة » ، ولذلك فإني على مثل اليقين بأنه سوف يأتي يوم تنقل فيه هذه الكلمة إلى اللغات الأجنبية بلفظها كما هو لكي تعبر عن نفسها بنفسها » .

لقد أردت في ما أوجزته من أقوال الأستاذ صدقني أن أقدم أمثلة تدل على تدقيقه المتصل في ما ينقله إلى العربية ، وتدل في الوقت نفسه على نزوعه الدائم إلى إيضاح كل ما يتصل بمعنى العروبة .

الميدان الرئيسي الثاني الذي اهتم به الأستاذ صدقني هو ميدان الدراسات القومية . ففي سلسلة من البحوث ، نُشرت في مجلة المعرفة السورية كتابات عن قضية الوحدة العربية بين أنصارها وبين أعدائها . وأحب أن أشير إلى عبارة تكشف عن الطابع الشخصي لأفكاره ، ويقول فيها : « إنني أعلم علم اليقين أن ما قررته يخالف الفكر السياسي الوحدوي الشائع في نقطة أو في أكثر من نقطة . ولذلك لن استغرب إذا اصطدم بأفكار شائعة بلغت مرتبة القناعات المفروغ منها » . ومن أقواله إن المناضلين في سبيل الوحدة العربية لا يضعون شروطاً أمامها تتحول إلى عوائق .. إنهم يناضلون **لخلق** الشروط الملائمة .

فالموقف الوحدوي موقف ثوري ، وهو **فعل** إيجابي يخلق الظروف المناسبة لغاياته . وأكتفي هنا بإيراد عبارات موحية وذات دلالة ، منها أن الفكر لا يكون تقدمياً إن لم يكن وحدوياً ، وأن شيئاً من اللبس والغموض قد انتشر بتأثير ما يطرحه المثقفون الذين ينطلقون من مواقع لا قومية .

ويوجز الأستاذ صدقني حديثه عن أعداء الوحدة العربية في الخارج والداخل بقوله : « إن أعداء الوحدة كثيرون : الاستعمار والامبريالية والصهيونية العالمية والطبقات المستغِلة وأنظمة الحكم التي أفرزتها للمحافظة على مصالحها الرجعية والإقليمية والطائفية والعشائرية والعائلية والشعوبية الجديدة » .. ولكن هذا كلّه لا يدعو إلى اليأس . فهذه القوى المعادية كلها ليست من قوى المستقبل . إنها – دون استثناء – قوى سائرةٌ إلى الاندحار والزوال . ويبقى للوحدة العربية ، رغم كثرة أعدائها ، قوة أقوى من هذه الاعداء مجتمعين ، تبقى لها الجماهير الشعبية الواسعة العريضة .

أنتقل الآن إلى بحوث مبتكرة حاول فيها الأستاذ صدقني أن يقدم على مغامرة روحية كبيرة تتعلق بالعقلية العربية التي يمكن أن تستنبط من بنية اللغة العربية ومن عالم الأمثال العربية . ويؤسفني أني لن أستطيع ، في هذه الكلمة ، الإلمام بهذا الموضوع الجديد في تفرعاته ونتائجه . وسأكتفي بإيراد موجز أرجو أن يعطي فكرة سريعة عن جهود الأستاذ صدقني في هذا الميدان .

يرى الأستاذ صدقني أن الآراء المطروحة في مقالاته تدخل في مجال فلسفة اللغة . وهي تمثل محاولة لقراءة بعض الكلمات العربية قراءة جديدة ، تعتمد على العلاقات والروابط القائمة بينها . فهي جهد تحليلي استقرائي يهدف إلى استخلاص معاني الكلمات التي قد تكون غائبة عن الأفهام لطول العهد باستخدامها ... يقول الأستاذ صدقني : « اللغة العربية هي العقلية العربية ، وهي تصور العرب وفهمهم للوجود . فالمرأة ، مثلاً ، مؤنث المرء ؛ والمرء والمروءة من أسرة واحدة . فالمرء يكون كذلك في العقلية العربية إذا كان من أهل المروءة ، أي شهماً ذا نخوة . وكون المرأة مؤنث المرء يعني أن العقلية العربية تتصور المرأة إنسانةً ذات مروءة ، تسارع إلى نجدة الملهوف .. وكلمة « انسان » تنتمي مع الكلمات أَنِس وأُنس وأنيس وغير

ذلك إلى أسرة واحدة . وهذا يعني أن الإنسان قد سمي إنساناً لأنه يأنس بغيره أو يؤنس غيره . أما العقل فيشير إلى الربط والترتيب . ويستخلص الأستاذ صدقني من تحليل مثل هذه الكلمات ، في اللغات المختلفة ، إلى أن العقلية اللاتينية أقرب إلى الفلسفة الواقعية . ذلك أن تصورها للوجود قائم على أســاس أن العـالم الخارجي مؤلف من علاقات وأن لدى الإنسـان استعداداً لسبر أغوار هذه العلاقات ... وحسابها حساباً كمياً دقيقاً . وهذا التصور كان في أساس ما حققه العلم الحديث من تقدم ونجاح .. أما تحليل الكلمات العربية فيؤدي بنا إلى القول بأن العقلية العربية الأصلية ( القديمة ) أقرب إلى الفلسفة المثالية . ذلك أن هذا التحليل يوحي بأن تصورها للوجود قـائم على أســاس أن العـالم الخارجي يبقى مفكك الأوصــال ، تسـوده الفوضى ، لولا تدخل الإنسان ، الذي يقوم بفعل « العقل » فيصبح العالم مرتباً مترابطاً منظماً .

ولو انتقلنا إلى كلمة واقع ، بالفرنسية Réalité : لوجدنا أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية Res ومعناها الشيء ، واستطراداً ما هو موجود بالفعل . فهي بذلك حيادية لا تتضمن أي حكم من أحكام القيمة .

فالموجود بالفعـل لا هو صــاعد ولا هو هابطٌ . أما الكلمة العربية « واقع » فهي تتضمن حكم قيمة وتعبر عن نظرة « سـلبية » إلى الوجود الواقعي ... وهذا يعني أن الاختلاف بين النظرة العربية والنظرة اللاتينية إلى الواقع يكاد يبلغ حد التناقض .

والعقلية العربية لا تقيم هوة بين الواقع وبين المثل الأعلى ، بل هما في نظرها متواصلان . الواقع مقصر عن المثل الأعلى ، ولكنه صبوة دائمة إلى بلوغه . ثم إن المثالية في اللسان العربي ليست مثالية بالمعنى المعروف في تاريخ الفلسفة الغربية ، بل هي مثالية من نوع خاص تقيم تواصلاً بين المثال

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

والواقع ، فترى في الواقع قصوراً عن بلوغ المثال يجب تلافيه ، وهو أمر ممكن .

وعندما ينتقل الأستاذ صدقني إلى تحليل الأمثال العربية القديمة يورد عدداً كبيراً منها ، ويقرر أن الأمثال العربية تنفرد ، دون غيرها ، بأن لكل مثل قصة . ولهذا الأمر دلالة هامة ومغزى عميق . فهو يعني أن المثل الأعلى في الفكر العربي القديم ليس فكرة مجردة خالية من الحياة بل هو من صميم الحياة نفسها .

كل ذلك يعني أن الإنسان قادر على بلوغ المثل الأعلى في الواقع . ثم إن الفعل الماضي في المثل العربي يدل على أن واقعاً معيناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى . فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة ، وليس دعوة إلى الحكمة . إنه انبهار أمام بهاء الواقع المتسامي ، وقصته تهز النفس من الأعماق ، وتستنهض الهمم ، وتبشر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها الحفل الكريم

لقد حاولت في كلمة الاستقبال هذه ، على الرغم من الصداقة التي تربطني بالأستاذ صدقني ، ومن الاهتمام المشترك بمسائل الفلسفة التأملية ، ومن الإيمان غير المشروط بأهداف الأمة العربية ، أقول لقد حاولت أن أتخذ موقف الحياد الموضوعي قدر الإمكان وألا أغفل عن أمور تبقى موضع جدل ونقاش .

لقد اجتهد الأستاذ صدقني وأخلص في اجتهاده ، وتحمس لقضايا أمته أجمل حماسة ، فأهلاً به في مجمع اللغة العربية طالباً للعلم الصادق ، وباحثاً عن أهداف عزيزة غالية ومفكراً يملؤه النشاط الحي كما يملؤه الشباب ( الشباب النسبي طبعاً ) ومتطوعاً لخدمة اللغة العربية بكل ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . حتى تتحد هذه اللغة مع الفكر العربي ذاته .

وإني لأذكر دائماً أنه كتب مرة يقول : « إني لأشهد بأن لسان العرب هو أجمل لغـة على وجـه الأرض . ولا عَجَبَ في هذا ، فهو لغـة السماء أيضاً » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# خطاب الأستاذ جورج صدقني
## في حفل استقباله

أيها السيدات والسادة

إن لساني لعاجز عن التعبير عن مدى اعتزازي بالثقة التي أولاني إياها أعضاء المجمع الكرام بانتخابي زميلاً لهم ، فشكراً لهم من صميم القلب ، وعهداً أن أبذل وسع طاقتي في خدمة لساننا العربي المبين ، ما حييت . وإني لأعرب في الوقت نفسه عن أعمق مشاعر الامتنان والعرفان للأستاذ الدكتور شاكر الفحام لترحيبه بي بهذه الكلمات الجميلة الطيبة ، النابعة من نفسه الكريمة وخلقه النبيل ، وكذلك لأستاذنا الدكتور بديع الكسم لما غمرني به من صفات هي بعض البعض من طيب سجاياه وكريم شمائله .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها السيدات والسادة

لو أن الأقدار أسعدتني بمعرفة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، رحمه الله ، لسقت إليكم حديثي اليوم عنه بعنوان « كامل عياد كما عرفته » . لكن الأقدار لم تسعدني فأنا لم ألتق هذا المعلم العربي الكبير في حياتي البتة . ولو جريت على مألوف العادة لسردت على مسامعكم سيرة حياته ، لكني أستأذنكم ألا أفعل ، وأترك لمن يشاء أن يبحث عنها في مظانّها ، وليس هذا بعسير . والواقع أنه لم يبق لي ما أقوله عن سيرة عياد بعد الكلمة العاطفية الحارة التي استقبله بها ، في هذه القاعة نفسها في أرجح الظن ، صديقه وصفيّه الأستاذ الدكتور جميل صليبا في ٢٠ كانون الأول عام ١٩٥٨ ، والتي فصل فيها سيرة حياته منذ ولادته في ليبيا عام ١٩٠١ ،

حتى انتخابه عضواً في المجمع ، وكذلك الكلمةِ البليغة التي كتبها تلميذه الوفي الأستاذ الدكتور محمد حرب فرزات بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته ، ناهيك عن الكلمة الجامعة ، التي ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل تأبين فقيد المجمع في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وجلا فيها فضائل الفقيد وشيمه وعرض سيرة حياته كلَّها فلم يترك زيادة لمستزيد . إنني لا أحب لنفسي ، ولا أحب لكم ، أن أردد على مسامعكم وأعيد ، لهذا أستأذنكم في أن أقصر حديثي على الجانب الفكري والثقافي من شخصية كامل عياد .

ولكن كيف لوقت هذه الأمسية المحدود أن يتسع لجلاء جوانب شخصيته الموسوعية كلها ؟ أأحدثكم عنه فيلسوفاً ، أم مؤرخاً ، أم عالم تربية ، أم صحافياً ، أم كاتباً يترجم القصص والمسرحيات وينقلها من الألمانية ، أم منشئ أجيال ؟ لقد جمع في إهابه هذه الشخصيات كلَّها على نحو متكامل لا تناقض فيه . إنه لضرب من ضروب المحال أن أحيط الآن بكل جانب من جوانب شخصيته الفكرية ، ويبدو لي أنه لا بد لي من معاناة حيرة الاختيار . ولما كانت هذه الجوانب كلها وجوهاً متعددة لشخصية واحدة ، فإنني أوثر التركيز على « فلسفة التاريخ » عنده ، لأنها كانت من اهتماماته كلها بمثابة البؤرة ، أو المحور . والحق أن العشق الحقيقي ، الذي أخذ بمجامع نفسه كلها ، لم يكن الفلسفة وحدها ، ولا التاريخ بمفرده ، وإنما « فلسفة التاريخ » ، لأنها تجمع الفلسفة التي موضوعها الحقائق الكلية ، إلى التاريخ ، الذي موضوعه الحوادث الجزئية ، فكأني بكامل عياد كان يرمي دائماً إلى الارتقاء من حوادث التاريخ الجزئية إلى حقائق الوجود الكلية .

لقد سمعت كثيرين يقولون إن الدكتور عياد كان ماركسياً . وهذا أمر ليس لي أن أنفيَه أو أثبته . لقد وجدت بالفعل نكهة ماركسية خفيفة في

بعض مقالاته ، لكنها لا تجعلني أصنفه في عداد الماركسيين . لقد كان الدكتور عياد معتدلاً بعيداً عن التعصب ، خلافاً للماركسيين . وهذا يحملني على القول إنه لو كان الماركسيون يتحلون بمثل اعتدال الدكتور عياد وبعده عن التعصب ، لما صاروا إلى المصير الذي تعرفون . والحق أن الدكتور عياد كان « خلدونياً » — إذا جازت النسبة على هذا النحو — جعل من ابن خلدون قدوة ومثالاً ، وكان الأثيرَ على قلبه ، فاصطفاه دون سواه من المفكرين والفلاسفة العرب ، كابن رشد والغزالي والكندي وابن سينا ، موضوعاً لرسالته ، التي وضعها باللغة الألمانية ، ونال بها درجة الدكتوراة من جامعة برلين . وأصدر بالاشتراك مع الدكتور جميل صليبا كتاباً يضم نصوصاً مختارة لابن خلدون . وجعل من ابن خلدون محطة يستوقف القارئ عندها في معظم كتاباته المتصلة بالتاريخ ، مثال ذلكَ أنه أفرد في أمليته الجامعية « تاريخ التربية » فصلاً ضافياً عن التربية عند ابن خلدون . صفوة القول إن عياد كان خلدونياً في الأساس ، وإذا كان قد وجد في الفكر الماركسي جوانب حازت على إعجابه ، مثلَ فكرة القوانين في التاريخ والحتمية التاريخية ، فمرد ذلك — في تقديري — أنه وجد فيها تطويراً وإغناء لفكر ابن خلدون الأصيل .

أيها السيدات والسادة

للدكتور عياد مقالات عديدة في فلسفة التاريخ ومعناه ، على أن واحدة منها عنوانها « عبر التاريخ » ، نشرت عام ١٩٧٦ ، تعد أنموذجاً لأسلوب عياد ، الذي يتصف بعبقرية البساطة ، وتفصح عن خلاصة فكره في فلسفة التاريخ خير إفصاح . وإليكم زبدة القول فيها :

يستهل عياد مقالته بقوله : « من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها ، يختلط فيها الصدق بالكذب ، ويعتريها التشويه والتحريف

والتزوير ... » . ثم ينقل عن ابن الأثير قوله : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . ويستعيد عياد رد ابن الأثير على هؤلاء ، وتعداده فوائد علم التاريخ ، إلى أن يختم الرد بقوله : « ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد » . وبعد أن يشير عياد إلى كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوي ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، يقول : « وما زال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرة ، لأنه لا يكشف عن حقائق وقوانين عامة .. بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية .. وتساهل آخرون فقالوا : إنه لا يمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائقُ بحثه فقط ... ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي ، في هذا العصر الذي ... أخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟» .

ويروي عياد أن هنري فورد ، صاحبَ مصانع السيارات المشهورة ، دعي عام ١٩٢٧ لزيارة بعض الأماكن الأثرية ، فاعتذر ، وصرح بأن التاريخ كلَّه هُراء وسخف . ثم يقول عياد إن هذا التصريح « يدل على تفكير صبياني ، سطحي من رجل أمريكي ، ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر » . ثم يضيف في ما يشبه الشماتة : « لم يكن المستر فورد يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية ، التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر فورد ، ويلقنه درساً ، فلم تمض سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ .. » .

ويشير عياد إلى هجوم ( نيتشه ) على التاريخ وادعائه أن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ، ويهزأ به ضمناً عندما يقول : « كان نيتشه يغبط الحيوانات لأنها تعيش في الحاضر فقط ، فهي سعيدة ..

لأنها لا تتذكر الماضي ، ولا تفكر في المستقبل » . وينتهي عياد إلى القول : « إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ ، ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه » .

ويعلن عياد « لأن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر » ، ويسهب بعد ذلك في شرح دور الذاكرة في تكوين شخصية المرء ، ويبين أهميتها في مراحل العمر المختلفة ، ويركز اهتمامه على ما تتصف به الذاكرة من انتقاء في ما تجمع وتختزن ، فيقول : « إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان ... وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه :. لا نفعَ في استقصـــاء كل الأمور ... لا بد من عملية اصطفاء لابراز الحوادث الخطيرة ... وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ... لا بد لنا من نسيانها والتخلص منها ، إذا أردنا السير في طريق التقدم ...» . ثم يقول : « إن الشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل ، وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف ... عن النمو ... والابداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده ، أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه . ثم عندما تهرم ... تبدأ في دراسة تاريخها ، وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ... » فيتكون ( الوعي التاريخي ) التام والواضح ، الذي يجعلنا نعرف من نحن ، وإلى أي مرحلة من التطور وصلنا ، وفي أي طريق نسير ... هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي ... يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ، ولا يهمنا الماضي الميْت » لكن عياد يرد على هؤلاء ويقول إن « الحاضر ليس سوى امتداد للماضي ، ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة ، وأن نعالجها معالجة صحيحة ناجعة ، وأن نرسم الطريق إلى المستقبل ، إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة .. التي أدت إلى خلق تلك المشاكل ( التي ) لها جذورها وأصولها في

التراث » . ويفصل عياد في هذا الباب تفصيلاً حتى يقول : « إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن ... وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً ، أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة ، فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب » .

أما فائدة التاريخ على صعيد حياتنا العملية فيتناولها عياد مشيراً إلى اعتقاد « الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم » . ويعرض آراء هيرودوت وتوكيديديس وديودورس الصقلي في هذا الباب ، ويسهب في عرض آراء المؤرخ اليوناني بوليبيوس ، الذي كشف الغطاء عن الأسس المتينة ، التي قامت عليها عظمة روما ، وعلل الاستقرار الذي عرفه نظام الحكم فيها ، وبيّن أن معرفة الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطّبيعة البشرية ، ونصح المؤرخين بأن يركزوا اهتمامهم على كشف الأسباب ، ومعرفة النتائج ، لا على سرد الوقائع ورواية الأخبار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم انتقل عياد إلى المؤرخين العرب ، فاقتطف من كتاب ( تجارب الأمم ) لمسكويه قوله : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما يستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها » إلى أن يقول مسكويه : « ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجاربُ له ، وكأنه عاش الزمان كله » .

وينقل عياد من كتاب ( الآدابُ السلطانية ) هذه الحكاية : « طلب الخليفة ( المكتفي ) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك ، وعَرضِه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصّلوا على بعض كتب التاريخ ، وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من ... معرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال

لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت حصّلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ، ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ، ويبين له خراب البلاد من عمارتها » .

ثم وقف عياد وقفة غير قصيرة عند « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون ، « الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً ... يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور » . وأوضح أن « ابن خلدون كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام ، واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر». وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين ، وتعليل ذلك ، ويحذّر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا . وذكّر عياد بنظرية ابن خلدون التي تقول بحتمية التطور التاريخي ، وتذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة ، تتكرر بانتظام ، وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها ، وتدعي أن هناك قوانين تاريخية،مثلَ القوانين الطبيعية ، لا تتغير لذلك لا مجال في التاريخ للمصادفات أو المعجزات . وأشار أيضاً إلى أن ابن خلدون بيّن أن الحوادث التاريخية تخضع لقانون السببية . وهنا يكمن السر في إمكان الاستفادة عملياً من عبر التاريخ ، لأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤديَ إلى النتائج ذاتها .

ولكن لما أطل القرن التاسع عشر ، أخذ الاعتقاد بالاستفادة من عبر التاريخ يتزعزع . وأيد عياد هذا التحول مستشهداً بما كتبه هيغل في ذلك الوقت ، إذ قال : « الشيء الوحيد ، الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن في التاريخ أمثلة كثيرة عن العاقبة الوخيمة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ، غير أن هذا لم يردع الطغاة المستبدين ، وظلوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . ونابليون أخطأ خطأ فاحشاً بهجومه على روسيا وزحفه على موسكو ، ولكن

هتلر لم يتعلم من هذا الخطأ ، بل سرعان ما وقع فيه . وبعد أن يورد عياد أمثلة كثيرة وطريفة من هذا القبيل ، استقاها من الحربين العالميتين، يقول معلقاً على كلمة هيغل « إنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ، ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر ، إما لجهلهم ، أو طيشهم ، أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد » . وينبه عياد إلى أنه « للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة دقيقة للحوادث ، وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة » . ويضرب أمثلة عديدة على ذلك من حرب القرم وحرب سنة ١٨٧٠ وثورة البلاشفة والثورة الفرنسية .

وبعد كلمة هيغل « ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه ، وأن الصفة المميزة للحادث التاريخي هي أنه فريد ، ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة ، وأنه لا يتكرر أبداً .. على الصورة نفسها وبجميع التفصيلات و...أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية ، وحجتهم في ذلك .. أن المصادفات لها دور كبير في حياة البشر ... وأن حوادث التاريخ تنبعث من إرادة الأفراد الحرة ، فهم الذين يصنعون تاريخهم ، وزعماء الشعوب يتبعون أهواءهم الذاتية ، فكيف يمكن أن نستخلص الدروس والعبر من التاريخ ؟

وينبري عياد لمناقشة هذه الاعتراضات والرد عليها بالتفصيل فيؤكد أن القول بحرية الارادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة لا ينفي أن الأعمال البشرية تخضع لقوانين منتظمة . ويستند في رده هذا على اجتهادات علماء الكلام المسلمين وعلى الفيلسوف الألماني ( كنط ) ، وينتهي إلى القول مع هيغل « إن الشخصية التاريخية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في



ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجتمع ، والذي هو محصول الأحداث التاريخية ، وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها » .

وعن دور المصادفة في التاريخ يورد عبارة باسكال الساخرة : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . يقصد أن أنطونيوس ما كان ليقع في غرامها وينهزم في معركة ( آكسيوم ) . كما ينقل عن تشرشل أن قرداً صغيراً عض اسكندر ملك اليونان ، فتسمم الجرح ومات الملك في خريف سنة ١٩٢٠ . ويضيف تشرشل قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ، ذلك أن اليونانيين أعادوا الملك قسطنطين إلى الحكم فاستأنف الحرب ضد الأتراك ، وسقط فيها هذا العدد من القتلى . ثم يفسر عياد المصادفة بأنها نقطة التقاء سلسلتين من الأسباب الحتمية ، ولهذا فالمصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية ، ولا يمكننا أن نستنتج قاعدة عامة من التقاء أنطونيوس وكليوباترا فحواها أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات . ثم يعترف عياد بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، لكنه يؤكد أن في تاريخ الشعوب أوضاعاً متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة ، ويضرب مثلاً على ذلك أن الأزمات التي سبقت الثورة الإنكليزية سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ والثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت أزمات متشابهة .

وينبهنا عياد إلى أننا نخطئ كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . إن الفرد يستفيد من التجارب التي مرت به . والتاريخ إنما هو ذاكرة البشرية التي تحوي خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وتجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة . نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم ، كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير . إن مقدرات الأمم مرتبطة

بإدراكها للعوامل التاريخية ، التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة ، وبمعرفتها للرواسب ، التي انتقلت إليها من الماضي ... يجب ، في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرنا ، فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلمَ إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الارادة عوضاً عن أن يدفعنا إلى النهوض ..

ويورد عياد أمثلة من التاريخ كثيرة ومملوءة عبراً ، أقتطف منها هذا المثال : في سنة ١٨٠٤ استدعى ملك بروسيا السياسي الألماني فون شتاين لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون ، فلم يقبل إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأقنان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي ، رغم أنه كان من النبلاء الاقطاعيين المحافظين ، ومن المعارضين لمبادئ الثورة الفرنسية . قال فون شتاين للملك : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين ، الذين يؤلفون أكثرية الشعب ، إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم ، إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً ؟ » .

وفي النهاية يصل عياد إلى زبدة الزبدة فيقول :

« وأخيراً هانحن في الوطن العربي ، عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين ، تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي ، الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر ، وبين الحالة في الوقت الحاضر ، فإننا نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة ، وحافزاً لنا ، ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين ، إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ، ومزاياه النادرة ، والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للخطط السياسية البعيدة ، التي رسمها ، والأساليب العملية ، التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور ، وتسهيل وسائل العيش للشعب ، بإلغاء المكوس وخفض الضرائب ، ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبيين إلا لِما اتصف به من بعد النظر ، والمهارة السياسية ، والثقة بالنفس ، والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه ، والصبر على الشدائد ، والعمل المتواصل دون كلال أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الإسلام ، بل كان ، باتفاق اراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرةً لمن يتفكرون ؟» .

أيها السيدات والسادة

هذا نزر يسير من عطايا الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد لأمته العربية ، وما أعظم ما أعطى ، وما أقل ما أخذ ، وما أفدح ما فقدناه برحيله . رحم الله هذا المعلم العربي الكبير رحمة واسعة بقدْر ما أوسع في البذل وأجزل في العطاء .

أشكر لكم حسن إصغائكم والسلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# حفل استقبال

## الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م ( الدورة المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م ) الأستاذ الدكتور عادل العوا عضواً عاملاً في المجمع . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٤) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كردعلي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٧ جمادى الأولى ١٤١٢هـ/١٣ تشرين الثاني ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والأدب والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين لمشاركتهم في هذا الاحتفال ، وهنأ الأستاذ الدكتور العوا ثقة زملائه المجمعيين به واختيارهم له لانضمامه إلى صفوفهم يؤيد مسعاهم في خدمة اللغة العربية والذود عنها .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي . أشاد فيها بسجاياه الخلقية ومكانته العلمية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عادل العوا كلمته التي تحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل .

# كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

## نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم :

أحييكم أجمل تحية ، وأرحب بكم ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، لتشاركونا في الاحتفال باستقبال الأخ الكريم والزميل العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا .

لقد انتخب الأستاذ العوا عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع ، في دورته المجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م ( التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م ) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٤ ( في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م ) بتعيينه[١] .

فهنيئاً للأستاذ العوا ثقةُ زملائه المجمعيين به ، واختيارُهم له زميلاً عزيزاً ينضم إلى صفوفهم ، ويؤيد مسعاهم ، قد أعدّ عدته ليقدم لمجمع الخالدين صفوة تجربته ، وخلاصة خبرته .

والأستاذ العوا ، هو ما هو علماً ومعرفة ، قد فطر على القراءة والمطالعة والبحث ، ووقف نفسه على التعلم والتعليم .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧٠ ( تموز/١٩٩١م ) .

بدأ يدرّس ويحاضر منذ عام ١٩٤٥م ، وها هي ذي ستة وأربعون عاماً قد مرت ، وهو دائب في عمله ، متفان في تحقيق هدفه ، يعطي دون توقف ، قد تخرّج به مئات ومئات من الطلاب ، بعد أن ملؤوا عيابهم من المعرفة ، واكتسبوا ما أهّلهم لحياة البحث ومتابعة العلم .

ولئن كان مركز نشاطه العلمي في جامعة دمشق ، إنه قد مدَّ من حدود نشاطه فدرّس وحاضر في الجامعة الأردنية ، والجامعة اللبنانية ، وجامعة الجزائر ، وجامعة هلسنكي ، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك . وكان له المشاركات الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية ، وقام بقسط وافٍ في المناصب العلمية الإدارية بجامعة دمشق ، فترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، وكان وكيلاً لكلية الآداب وعميداً لها سنوات عدة .

كان الكتاب صديق الأستاذ العوا وجليسه طوال حياته ، فهو مشغوف بالمطالعة ، لا يفتر عن القراءة والتقييد ، وقد واتته موهبة التعبير الجميل ، والأسلوب السلس ، فاستجاب لها ، وسلك في كتابته طريقي التأليف والترجمة ، وقدّم لدنيا الثقافة والكتب مجموعتين من نفائس مؤلفاته وترجماته أغنى بهما المكتبة العربية ، وهيأ للناشئة العربية الجنى الطيب تتزود منه بخير زاد ، ويفتح لها النوافذ لتطل على آفاق الفكر الواسعة .

صدر أول تآليف الأستاذ العوا ( الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا ) سنة ١٩٤٨م ، وتابع الأستاذ طريقه بهمة وعزيمة لا يعرفان الكلال ، ليصدر كتابه الثالث والعشرون ( مذاهب السعادة ) سنة ١٩٩١م .

وقدّم أول كتبه المترجمة ( المدنية : سرابها ويقينها ) سنة ١٩٥٧م ، ليصدر كتابه المترجم التاسع والثلاثون ( الحرية ) سنة ١٩٩٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنه النتاج الطيب الوفير ، قد آتى أكله أضعافاً مضاعفة . لقد أعطى الأستاذ العوا فأكثر وأطاب ، ولم يُمْسك ، وإنه ليحق له أن يزهى بما قدّم ، وإننا لنعتزُّ بالزميل العزيز رفيقاً يؤازر ويسعف ، لتظل الفصحى اللسان المبين في كل المؤسسات والبيئات العلمية في الوطن العربي .

لقد أسعدني الحظ بصداقة الأستاذ العوا ، وقُدّر لنا أن نعمل معاً فقد كان الأستاذ العوا عميداً لكلية الآداب ، وكنا نلتقي أسبوعياً في مجلس الجامعة طوال ثلاث سنوات (١٩٦٨–١٩٧١) ، فعرفنا فيه سماحة الخلق ، وحصافة الرأي ، وثقوب النظر ، وحسن التأتي لحل المشكلات .

أعود فأرحب بالزميل العزيز رفيق دربنا في خدمة اللسان العربي المبين . وأدعو الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع ليتفضل بالقاء كلمة المجمع في استقبال الأستاذ العوا ، ويعرضَ سيرته العلمية ، ثم يُعقبَه الأستاذ العوا فيلقي كلمته التي يتحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
## في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوا

السيد العماد مصطفى طلاس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع
سيادة وزير الأوقاف والسيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس مجمع اللغة العربية
السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية سيداتي سادتي .

حينما كُلفت من قِبل مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق الكلامَ عن السيرة العلمية للأخ الزميل والصديق العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا ، احتفالاً باستقباله عضواً عاملاً في المجمع المذكور ، عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٣٨ حينما أقام الأستاذ المرحوم جودت الهاشمي ، مدير الثانوية الأولى بدمشق ، حفلاً تكريمياً للطلاب المتفوقين في نهاية الامتحان ، وكان الدكتور العوا الأول في شعبة الفلسفة من الصف الثاني عشر في النظام القديم .

وفي ذلك العام أعلنت وزارة المعارف في سورية عن مسابقة لإيفاد عددٍ من حملة الشهادة الثانوية إلى فرنسة ، للتخصص في فروع العلم المختلفة . وقد تقدم الدكتور العوا إلى امتحان تلك المسابقة للتخصص في الفلسفة ، فنجح فيه بتفوق ثم سافر إثر ذلك إلى فرنسة ، وانتسب إلى جامعة السوربون في باريس لتحضير شهادتي الليسانس والدكتوراه . وقد شاءت الأقدار أن يحظى بالتلمذة على أيدي مجموعةٍ من خيرةِ أساتذة

تسميتهم أنفسهم بأهل العدل إشارةٌ جليةٌ إلى إجلالهم الاسم الذي هو أحبُّ الأسماءِ إلى المعتزلة .

إن الدراسةَ الموضوعية لرسائل أخوان الصفا ، والتحليلَ النقدي لنصوصها يُبيّن خصائصَ تفكيرهم ، مما يُبيح لنا تحديدَ هويتهم الثقافية واعتبارهم معتزلةً متأخرين .

تابع الأستاذ العوا بعد تخرجه ، دراسته للفكر العربي الإسلامي ، وعُني بنشر نصوصٍ إسماعيلية في كتاب عنوانه « منتخباتٌ اسماعيلية تُنشر لأول مرّة » ، مع مقدمة وافية تشير إلى الحركة الإسماعيلية وتطورها .

ثم توسع بعد ذلك في بحث جانبين أساسين من الفكر الإسلامي وهما « علم الكلام والفلسفة » فنشر كتاباً بهذا العنوان عام ١٩٦٤ ، تحدث فيه عن مختلف الفرق الكلامية ، والمسائل الرئيسية التي عالجها أصحاب الكلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي مضمار الفلسفة العربية سبق الأستاذ العوا مؤرخي الفلسفة إلى تمييز تيارين في الفلسفة العربية المشرقية ، دعا أحدَهما التيارَ الانتقادي ، وبحث فيه عن آراء ابن المقفع والنظّام والجاحظ والمعرّي وأخوان الصفا . أما الفريقُ الثاني فهم الفلاسفةُ المسلمون الذي اهتموا بالتوفيق بين الشرع والفلسفة ، وكان منهم الكندي والفارابي وابن سينا . لقد امتاز الفريقُ الأول بنظرته الإنسانية الشاملة ، بينما اقتصر اهتمامُ الفريق الثاني على الإنسان المتديّن المسلم .

وفي عام ١٩٨٧ نشر الاستاذُ العوا كتاباً بعنوان ( المعتزلةُ والفكر الحر ) ، أوضح فيه أسبابَ ظهور حركة الاعتزال ، واعتبراها ارتكاساً تاريخياً وثقافياً وسياسياً ، على تطرف الخوارج المتزمتين ، وتراخي المرجئة السلبيين . ثم حللّ خصائص حركةِ المعتزلة من شتى الجوانب العقلية

والعلمية والانتقادية والإنسانية . وتحدث عن آراء بعض زعمائهم أمثال : واصـل بن عطـاء والعـلاّف والنظّـام والجاحظ والفوطي وابن أبي دواد وغيرهم . وفي نهايةِ كتابه قدم بحثاً شـاملاً عن تأثر المعتزلة وتأثيرهم ، وأوضـح استمـرارَ روح الاعـتزال في الفكر العربي والإسـلامي إلى وقتنا الحاضر .

لقد اهتم الأستـاذ العوا بعـلم الأخلاق ، إلى جانب اهتمامه بعـلمي الكـلام والفـلسـفـة ، فنشـر منذ عام ١٩٥٨ كتـاباً عنوانه « المذاهبُ الأخلاقية » ، بين فيه مفهومَ الأخلاق عند مختلف المفكرين والفلاسفة ، منذ نشأة الفكرِ الأخلاقي في اليونان حتى المرحلة المعاصرة ، فأصبح البحثُ الفلسفي في الأخلاق يندرج في مجال معاصر شـامل تحت اسم ( فلسفة القيم ) . ومن الفصول التي تناولها في كتابه هذا مذاهبُ المدرسة السقراطية والأبيقورية والرواقية ، ومذاهب ديكارت وسبينوزا وليبنز وكانت ، كما تحدث عن الموسـوعيين وروسـو وآدام سميث ، وعن شبنهور وسبنسر ونيتشـه وبرغسون وسواهم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي عـام ١٩٦٠ نشـر الأستـاذ العوا كتـاباً بعنـوان ( القيمـة الأخلاقية ) ، توسع فيه في بيان النظرة المعاصرة لهذا المفهوم ، ثم تتابع بعد ذلك ظهور عدة مؤلفات أخلاقية له ، نكتفي بالإشارة إلى عناوينها وهي : ( الوجدان ) صـدر عام ١٩٦١ –( أسس الأخلاق الاقتصـادية ) عام ١٩٨١ –( العمدة في فلسفة القيم ) عام ١٩٨٦ –( الأخلاق والحضارة ) عام ١٩٨٩ –( أخلاق التهكـم ) عام ١٩٨٩ –( مذاهب السعادة ) عام ١٩٩١ .

ومن مؤلفاته المهمة أيضاً ، والمتعلقة بالمطلب الأخلاقي ، كتابٌ عنوانه ( من معالم الكرامة في الفكر العربي ) صدر عام ١٩٦٩ ، وفيه بحث عن

الكرامة الإنسانية بين القديم والحديث . وقد بين المؤلف النظرة الإسلامية إلى هذا المفهوم في اللغة العربية والقرآن والتفسير . ثم انتقل إلى بحث هذا المفهوم في التاريخ العربي الإسلامي ، مبيناً معنى كرامة الرسول والخلفاء الراشدين ، وكرامة آل البيت في نظر السنة والشيعة ، ثم كرامة الأشراف .

وقدم بعد ذلك بحثاً انتقادياً عن كرامة الأولياء والمتصوفة ، يعيب فيه على الأخيرين غلوهم في سلب إرادة المريد ، خضوعاً بل رضوخاً لشيخه .

كما تصدّى أيضاً لمشكلة الرقّ والموالاة ، وبيّن مفهوم الكرامة في الأخلاق ، وأتى على آراء المجتهدين في تحديد حقوق الإنسان المسلم والزوج والأب والمرأة والملك وأولي الأمر . وأشار أخيراً إلى موقف الأدباء والشعراء ، في مختلف العصور ، بصدد الكرامة القومية ، ومعركة الشعوبية المتصلة بفضل العرب على العجم أو العكس . وانتهى إلى بيان الكرامة بالمعنى القومي والاجتماعي ، واتصالها بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد توقّف الأستاذ العوا طويلاً عند الكلام على كارثة فلسطين ، والكرامة العربية في نكسة عام ١٩٦٧ .

– ومما تحسن الإشارة إليه قيام زميلنا بترجمة عدد وافر من كتب الأخلاق ، نذكر منها : ( الفن والأخلاق ) نشر عام ١٩٦٥ –( الانتحار والأخلاق ) عام ١٩٨٧ –( الأخلاق والسياسة ) عام ١٩٨٨ .

وفي الكتاب الأخير يشير المؤلف ، بعد تعريفات وافية ، إلى تناقض الأخلاق والسياسة . وينقده بمحاولات لحل هذا التناقض ، منتهياً إلى ما انتهى إليه أخوان الصفا وهو أن العدالة قيمة أساسية في حياة المجتمع ، وفي قيام سلطة شرعية ونجاح ممارستها . فالشعب يتكلم لغة العقل ، وهو يُعرب عن رأي المجتمع بأسره ، وأن رسالة الفلاسفة لم تبق في أن يحكموا المجتمع مباشرة ، بل هي تربيةُ المواطنين وإعدادُهم لحكم أنفسهم ، والإيمان

بأن الديمقراطية هي الأساس الوحيد المعقول للسلطة الشرعية .

لقد أراد الأستاذ العوا أن يتوسع في مفهوم الكرامة ، باعتبارها نزعةً عالمية إنسانية ، فنشر عام ١٩٧٣ كتاباً عنوانه ( من الشرف إلى الكرامة ) بيّن فيه تطور العادات في هذا المجال ، من تقديم الإنسان قرباناً للآلهة ، كما كان قرباناً في حالات الحرب والمجاعة والوباء والكوارث الطبيعية .

ومن عوائق نضج هذا المفهوم القتل في سبيل الثأر ، وقتل الزوج للزوجة أو العكس ، في حال الخيانة الزوجية ، وقتل الوالدين عند الهرم عقوقاً ، ووأد البنات صوناً للكرامة والعرض أو خوفاً من السبي .

ويرى المؤلف أن الكرامة الإنسانية تنافي تقييد الحرية الموجودة في بعض العادات الإجتماعية ، كخضوع الأبناء والبنات لأوامر الأب أو الابن الأكبر ، وخضوع الفتاة القاصر للزواج ممن لا ترضاه .

ولما كانت المرأة لما تزل تعتبر أدنى منزلةً من الرجل ، فقد رفض المؤلف هذه النظرة ، وأوضح ضرورة تحررها ومساواتها للرجل ، حفظاً لكرامتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي بحثين آخرين يُبين الأستاذُ العوا بعضَ أشكال الاستغلال ، المنافي للكرامة الإنسانية ، فطرح قضية الرق والقنانة ، والاستعمار والتمييز العنصري ، ولم يغفل نضال الأمم حالياً لمكافحة الرقيق الأبيض والبغاء .

وفي الفصل الأخير من كتابه هذا يعالج مشكلات الحرب وكوارثها ، وينتهي إلى بيان سعي الدول لانقاذ الكرامةِ الفردية والجماعية ، أيام الأزمات والفتن والحروب ، عن طريق عقد المواثيق في ظل الأمم المتحدة .

وفي إطار الفلسفة العامة ، التي أشرقت على جوانب التفكير المعاصر ، قام الأستاذ العوا بمجهود كبير ، فصنف أو ترجم مؤلفات كثيرة ومتنوعة ، نذكر من عناوينها : الفكر والتاريخ – التجربة الفلسفية – نهج الفلسفة والفلاسفة الإنسانيون – الفلسفة والتقنيات – الفكر الفلسفي المعاصر –

الثقافة الفردية وثقافة الجمهور .

ومن مؤلفات الأستاذ العوا المهمة ما يتصل بالإبداع الفني والإلهام . فقد نشر كتاباً عنوانُه ( مدرسةُ الآلهات ) ، وهو من وحي الأسطورة اليونانية التي تقول بوجود ربّات للوحي ، في مجالات الشعر والتاريخ والرقص والموسيقى . وبيّن فيه مفهومَ العبقرية في الفكر العربي ، مستشهداً بمؤلفات وآراء مجموعة من أدباء ومفكرين أجلاّء ، منهم الشاعر خليل مردم ، الذي تكلم عن اللحظات الإشراقية التي يتمّ فيها الإبداعُ الشعري والفني بصورة عامة .

ومن المؤلفات الحديثة التي ترجمها الأستاذ العوا ( حوارُ الحضارات ) لروجيه غارودي ، المعروف بتطوره الفكري ، ونضاله في سبيل نصرة الحق ، ولو كان حقاً عربياً . وفيه يستعرض تاريخ الغرب ومستقبله ، انطلاقاً من وجهة نظر لا ترتكز إلى أوربا فحسب . ويرى أن الغرب ليس وحده مبدعَ القيم الإنسانية ، بل اشترك في ذلك جميعُ شعوب العالم القديم . لذلك لا مناص من إعداد نظام عالمي جديد ، يبدأ الحوارَ مع حضارات آسيا وإفريقية وأمريكة اللاتينية على السواء .

هذا ولما كان للإيديولوجيا في وقتنا الحاضر مفهومٌ كثير الشيوع ، فقد بحث الأستاذ العوا هذا العلمَ الجديد عبر ترجمته المتجسدة في ثلاثة مؤلفات متكاملة ، عناوينها : « نقد المجتمع المعاصر – نقد الأيديولوجيات المعاصرة – الممارسة الأيديولوجية » . وهذه الكتب من تأليف الفيلسوف ريمون روييه ، الأستاذ بجامعة نانسي في فرنسة ، والباحث المعروف في علم الاجتماع . وفي مؤلفاته نقدٌ للمجتمع المعاصر ، الغارقِ في خضم وسائل الإعلام الجماهيرية ، حيث لا يكاد الإنسانُ يفقه من آلياتها المعقّدة وأهدافها الحقيقية شيئاً .

ولذا تبدو مؤسساتُ ووسائل الأعلام في العالم الثالث ، على اختلاف أنواعها ، متخلفةً . كما يبدو الحاضرُ الاجتماعي قاصراً عن التهيؤ لاستقبال الغد . ومن هنا وجب تجاوز مجتمع البعد الواحد إلى المجتمع المتعدد الأبعاد ، وهذا يقود إلى انتقاد الأيديولوجيات المعاصرة بروح منفتحة ، ومستعدة للتطور ، لتجعل الممارسة الأيديولوجية أكثرَ فائدةً ومواءمةً لحياةِ الإنسان في العصر القادم .

مما سبق يتبين لنا جودة وغزارة الإنتاج العلمي للزميل الكريم الأستاذ الدكتور عادل العوا الذى أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والذي يعتبر بحق أحد المربّين الأوائل، والمؤسسين لعلمي الأخلاق والفلسفة في بلادنا، ونحن نستقبله في هذه الأمسية عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، راجين له دوام الصحة واستمرار العطاء .

ولنا كبيرُ الأمل أن يكون انتماء الأعضاء الجُدد هذا المجمع فاتحة عهد ازدهارٍ وتقدم لنشر العربية الفصحى والدفاع عنها تجاه الطامعين في تشويهها والقضاء عليها والسلام .

# كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا

## في حفل استقباله

### اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية

العروبة انتماء محبة وولاء ، محبة الأمة العربية ، خيرِ الأمم ، وولاءٍ للخُلَّص الكَمَلة الفضلاء من عشّاق الذود عن حياضها ، والنهوض بإمكاناتها ، ولا سيما من بني جلدتها . وهل من يضارع رسل مجمع اللغة العربية جهاداً صادقاً في سبيل الأمة العربية ولغتها الشريفة النامية ؟ إنهم ، كما وصف ( التوحيدي ) جماعة ( إخوان الصفاء ) ، « مَنْ تألفت قلوبهم بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة » ، فنذروا جهودهم وجهادهم ، وأنفقوا مددهم وأعمارهم ، في سبيل هذا الهدف السامي الرفيع ، والغرض الأسمى النبيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإنه ليشرفني ، ويسعدني ، أن أرى حقبة أخيرة من حياتي الفانية يتوّجها تكريمٌ رفضتُ دونه كلَّ تكريم ، ويَهيب بي وعي مسؤولية ثمينة غالية إلى مزيد من الشكر لمن جادوا باقتراح قبولي في هذه الندوة العريقة ، وهم الأماثل زملاء المستقبل ، والشكر والامتنان كذلك لسيادة الرئيس القائد الذي أيّد هذا الاقتراح وأقرّه بإفضال سابغ . وأخص بالشكر أوفره الصديقين العزيزين الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد زهير البابا ، وقد أغدقا علي من وحي عطفهما ثناءً ، كما شهدتم ، لا أجدني جديراً بأقله ، فكيف أفوز بأكمله ؟

أيها السيدات والسادة .

إن ألفاً من السنين الأخيرة من تاريخنا ، تفصلنا عن نشاط ( أخوان الصفاء ) . فلنتمهل لحظة نبصر فيها بعض ما طرأ من فوارق ، وبعض ما ثبُت من اهتمامات .

يتابع ( التوحيدي ) كلامه على جماعتهم ، حاكياً قولهم : « إن الشريعة قد دُنّست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » .

وقد تمخض مسعاهم ، في الأحوال كلها ، عن رسائل كثيرة يشبه أن يكون مجموعها موسوعة تامة للمعارف الإنسانية السائدة في عصرهم ، من حساب وفلك وهندسة وموسيقا ، إلى العلوم الطبيعية والنفسية والدينية الناموسية أو الإلهية . فهم لم يعادوا علماً من العلوم ، ولا فناً أو صناعة أو أسطورة ، حتى السحر والعزائم والتنجيم . وقد تناولوا مصطلحات هذه الإحاطة الشاملة بالإيضاح والتدقيق ، وما زالت رسائلهم تشهد على حيوية اللغة العربية ، ونباهة الناطقين بها آنذاك ، وقد حققوا نصراً مبيناً في معركة التعبير عن كل ما خطر ببال بشر بلغة جلية ، ومصطلحات مبتكرة ، ولم يفتّ في عضدهم عجز ولا قُصور .

وها نحن أولاء بعد قرون عشرة نملك من أدوات المعرفة ، وأجهزة حفظها وتطويرها ما لم يكن لهم به عهد ، ونطرح على أنفسنا تساؤلاً عن مراكز اهتمامنا العلمي والثقافي . أترانا نكرر عنايتهم بصلة الشريعة والفلسفة بمثل الصدق والعمق والحرية التي كانت تواكب بحوثهم ومناقشاتهم ؟

**مطالب المجمعين :**

لقد أحببتُ ، بغية الإجابة ، أن أستلهم طرفاً من أراء السادة

المجمعيين ، فقرأتُ ما اتفق لي من الخطب الملقاة تقليدياً في حفلات استقبال الأعضاء العاملين الجُدد ، فوجدت إجماعاً رائعاً ، وطبيعياً ، على الإشادة بلغتنا الحبيبة الشريفة « التي كرّمها الله فأنزل بها كتابه المعجز ليكون هدى للعالمين »(١) ، وهي « اللغة المقدسة التي تعلو في شموخها على سائر لغات العالم »(٢) . وأنا أعلم أن ( أخوان الصفاء ) ، مثلاً ، يجلّون العربية كذلك بقولهم : « اللغة التامة لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب ، وما سوى ذلك ناقص . واللغة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان ... وهي تمام اللغة الإنسانية ، وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ، ولا يغيرها ، ولا يَزيدها ، ولا يُنقِصها »(٣) .

هذه الإشادة باللغة العربية ، وهذا الإيمان بتفوقها ، بل بتفردها ، وربما بتقديسها ، قاسم مشترك ، وصلة متصلة بين أجيال الأمّة العربية الواحدة في تاريخها التليد والطريف . أليست « أم اللغات » كما قيل(٤) ؟ . بيد أن السادة المجمعيين ، جلّهم ، يعزفون عن « الميتافيزياء » القومية أو الدينية . وهم بذلك يختلفون عن الأسلاف المبجّلين ، وإن آمنوا بأن « من أراد خيراً بهذه الأمة خدم لغتها وصانها من العابثين »(٥) .

فمن « الخالدين » من يشكو « داء انتفاخ الأفكار » حين يُعبِّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة « فيسرع النَّخر والبلى إلى لغتنا ، ويتباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم »(٦) . ومنهم من يستخلص من ملكية الأجيال العربية لغتَها ضرورة « أن ينضاف عن طريقها جديد إلى قديم » « لنواكب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينفصم الذي بينهما » « ونضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية »(٧) . ومنهم من يحذّر من الدعوات الفاسدة في مجال اللغة « لأن لِلغة في حياة الأمة العربية شأناً

كبيراً ، وقيمة أعظمَ من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم »[٨] . وقد « تداعت على اللغة العربية الأمم : كبيرُها وصغيرها »[٩] ، كما أن « أخطر ما يتهددها هو هذه الأمراض التي تساور بناءها الصحيح ، وتتسرب إلى ينابيعها الثرَّة الصافية كالسُّمّ الخفي »[١٠] .

ويمضي مجمعيون خطوات أخرى في درب المنحى الواقعي . فيرى الأستاذ نائب رئيس المجمع الدكتور ( شاكر الفحام ) « أن أمانة المجامع العربية تلتقي وأمانة الجامعات لتكون الفصحى لغة العلم والتعليم والإدارة والحياة اليومية في الوطن العربي » . و « العربية قادرة على الاستجابة لكل ما جَدَّ ويجدّ من كشوف في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والتكنولوجية والإنسانية »[١١] . ويطمح مجمعي عزيز إلى قيام مجمع موّحد للغة العربية تسهم فيه الأقطار العربية كافة « نشداناً للوحدة الثقافية » التي هي « اللبنة الأولى في صرح الوحدة السياسية » ، وهي عنده كذلك « لبنة في مؤسسة أكاديمية واسعة تضم النابهين من المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء »[١٢] . وكان أستاذنا الدكتور ( جميل صليبا ) يطلب « إنشاء مجمع علمي واحد » . واكتفى الزميل ( عبد الكريم زهور ) « بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية .. تُوزّع على المجامع الأعمال ، ثم تنظر في النتائج ، وتقرّ ما تقرّه ، وتعمّمه »[١٣] .

إن الأمنيات تعكس ، من الناحية الجدلية ، نقائص وعَوَزاً . فممَّ تشكو *اللغة العربية والناطقون بها* ؟ وما هي الجهالات التي دنّست لغتنا الجميلة بعد أن دنّست الشريعة الغرّاء ؟ وكيف السبيل إلى غسل اللغة وتطهيرها كما شاؤوا غسل الشريعة بالفلسفة ؟

لقد نبّه الأمير ( مصطفى الشهابي ) إلى « مبلغ اتساع العلوم الحديثة اتساعاً يحيّر العقول . ورأى أن العلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع

جوانبنا ؛ ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية »[٤٤] . بيد أن للقضية وجهاً آخر ، على الأقل ، يجدر بنا الالتفات إليه ، والعناية به . فلم يبق « انتفاخ الأفكار » هو المشكلةَ وحسب . وكذلك داء العجمة والرطانة العتيقُ جداً ، وهو يهدد اللغة الفصحى بخطر ألا يجيدها إلا فئة من المتخصصين ، بعد أن ساءت أساليب تعليم اللغة وعلومها ، ومُنيت الأجيال الفتية بنَفْرة منها ، وهبّت عواصف الشعوبية تدعو إلى اللغة العامية ، وتمارسها ؛ وتدّعي عجز لغة القرآن عن مواكبة مسيرة العلم والفن ، زاعمة أن من الخير أن يُستبدل بها اللغات الأجنبية ولا سيما في تدريس العلوم .

**التفاعل التاريخي :**

وهذا الوجه الآخر الذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو التفاعل التاريخي الراهن في عالمنا المعاصر ، حيث تضاءلت الأبعاد ، وقصرت المسافات ، وكثر التواصل بازدياد وثّاب ، وصار للدول ذوات الوسائل الأحدث التأثيرُ الأقوى في توجيه الوقائع والأفكار . وبات من أثر التفاوت بين العوالم السياسية اضطرامُ الجشع ، وطغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي . ومن أخفى أسلحته تجاهلُ هذا الوجود ، وقَصْر الاكتراث به على مسعى الاساءة إليه في السرّ أو العلن .. ومن هنا كانت دعاوى انتقاصِ الامكانات العربية في كل مجال ، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والأدب والفنون .

إننا نود إماطة اللثام عن بعض هذا التجاهل العالمي ، شبه العالمي ، وهو يتطلع إلى أن يُسقط من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها ، ويسدَّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها . وسبيلنا إلى ذلك سبيل ذاك الفيلسوف القديم الذي نهض وسار ليبرهن على إمكان الحركة بالحركة ، حاسماً على هذا المنوال تخبط المتخبطين .

وقد اخترنا للتمثيل على مشاركة ثقافتنا الثقافة العالمية إلماعات سريعةً في ميدانين أساسين هما : ميدان الشعور الديني ، وميدان الشعور الفلسفي . وغرضنا توضيح أن إسهام العرب غابراً وحاضراً في صنوف النشاط الإنساني كلها ، ومنها هذان المجالان ، يمنحنا الحق في متابعة الخطا ، وغذّ السير لمواكبة ما بلغ الآخرون من المتقدمين في وقتنا ، بل حق/وواجب/الاسهام فيما يتصور المستقبليون من إمكانات قادمة لمصير الإنسانية ، الممكن والمحتمل .

**المجال الديني :**

ففي المجال الديني ، يرى المتتبع ، باديْ ذي بدء ، أن اللغة العربية تنمّ عن توافر الأنماط الابتدائية من الظاهرة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام . وهذا يعني أن للأمة العربية في غابرها إسهاماً في سيرورة الشعور الديني وتطوره من طوطمية ووثنية حتى التوحيدية . ولما ظهر الإسلام ، وتتابعت الدعوة إليه في ظل الدولة العربية فالأموية فالعباسية ، تأكد التفاعل الكلامي ، بل والصوفي ، مع ما يماثل هذين المنزعين في الديانتين السماويتين السابقتين . ونحن نعلم ، من ناحية أخرى ، أن البحث العلمي في الشؤون الدينية ما انفك يزداد أهمية وتنوعاً واتساعاً ، حتى في أقطار ليستْ الممارسة الدينية فيها أمراً لازباً كلياً . وقد واكب البحثَ الاعتقادي في كنه الدين بوجه عام بحثٌ متطور تبع نماء العلوم التاريخية والإنسانية : فكان من ذلك علم النفس الديني ، وعلم الإجتماع الديني ، وتاريخ الأديان ، والأديان المقارنة ، والظواهرية الدينية ، وآل الأمر حالياً إلى ما يسمى علم الأديان ، وهو مسعى يود العثور على جوهر التدين باستقراء معطيات الديانات كافة ، أعني حقيقة القداسة والمقدس .

وليس هنا مجال سرد كثير من التآليف العربية التي تمضي مع هذا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النشاط العلمي العالمي . ونكتفي بالإشارة إلى واقع مهم يبيّن الحرص على الانفتاح العربي العقلي والقومي المعاصر ، والمؤيِّد للتآزر الإنساني في حقل المعرفة الدينية ، وإن ظلت جوانب من هذه المعرفة تُعدّ قبل فترة وجيزة من العقائد السرية المكتومة عن غير مستحقّيها .

ذاكم مثلاً هو الانفتاح الذي نشاهده اليوم لدى بعض النزعات أو التيارات كالإسماعيلية التي أخذ معتنقوها ينشرون على الملأ ما كان مكتوماً ، ويذيعون ما كان محجوباً . ويحق للممعن أن يدرك بجلاء أن للفلسفة الباطنية جذوراً هي عينُها الجذور التي نلقاها في الفلسفة الإسلامية الظاهرة . وما الفارق الأساس بينهما سوى فارق التأويل ، شأنه هنا كشأنه في كل مكان مماثل في سائر الديانات العالمية أن ينوس بين تفسير حرفي مرفوض ، وبين دلالاتٍ مجازية طريفة أو مبتكرة . ولا يخفى أن « جلاء العقول » العالِمة بمزيد من جلاء جوانب هذه الفلسفة الباطنية إنما يسهم إسهاماً جليلاً في توحيد الشعور القومي العربي من ناحية ، ويضع في الوقت ذاته لبنة جديدة في صرح التكامل الثقافي العالمي من ناحية أخرى .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

غير أن لهذا الصرح الديني العالمي جوانب مهمة أخرى كان للعرب والمسلمين فيها إسهام عظيم ناجع . من ذلك ما نعلم عن قصة الفكر الحر ونشأته وتطوره في جو الصراع العقائدي السياسي – الاجتماعي معاً . فقد طَمَح رواقيو ( رومه ) إلى تحرير الإنسان العبد . وجاء المعتزلة بتحرير الإنسان الفكر . وأعقبهم كثيرون من طبقة ( روسو ) و ( فولتير ) و ( مونتسكيو ) و ( دولباخ ) و ( لوك ) و ( ستورت مل ) و ( رينان ) و ( لوازي ) . وانتهى الأمر إلى مقولة الفكر الحر ، وآل إلى صوغ شعاراتِ عالمنا المعاصر المتقدم . تقول الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان : « لكل شخص الحق في حرية التفكير والاعتقاد والديانة » . وقد ألحف المعتزلة من

قبل على الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني ، راجين تحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع . رائدهم في ذلك آية قرآنية كريمة : « لا إكراه في الدين »[١٥] ، وآية أخرى كذلك : « أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »[١٦] . وقد امتد تأثير المعتزلة إلى فرق السنّة والجماعة والشيعة وإلى الفلاسفة و ( المعري ) و ( مسكويه ) ، وإلى الثقافة الأدبية واللغوية ، وإلى الثقافة الإسلامية غير العربية ، بل وإلى الفكر اليهودي .. ولئن خَفَت صوت المعتزلة مذهباً ، فإن الاعتزال ، بأصالته العربية والعالمية ، ما زال ينمو في دنيا البشر روحاً وموقفاً .

**المجال الفلسفي :**

* لننتقل الآن إلى المجال الفلسفي بالمعنى الدقيق .

فقد أهمل مؤرخو الفلسفة الغربية الكلام ، إلا بنحو من الاستثناء ، على الفلسفة العربية ، وتجاهلوا إسهامها الثرّ والأساسي في نماء النشاط الفلسفي الغربي فالعالمي ، وقلّ منهم من أنصف العرب والفكر العربي ، فوجب التنبّه إلى إحقاق الحق ، وإعادة الأمور إلى نصابها بإحلال النشاط الفلسفي العربي – الإسلامي محله الصحيح من تطور الفكر الفلسفي العالمي ، وغدا مُنكراً زعم ( رينان ) « أن الفلسفة العربية فلسفة إغريقية بحروف عربية » ! وقد فاته أن الفلاسفة العرب القدامى لم ينسجوا على منواله ، ولم ينظروا نظرة عرقية كنظرته ، وإنما وجدوا أن الحقيقة ملك البشر كافة ، وإن ثمة قرابةً روحية ، ونَسَباً ثقافياً ينمّ عن اتصال تاريخي بين الشعوب والحضارات ، وإن انتقلت مراكز التميز من شعب إلى شعب ، ومن أمة إلى أخرى . آية ذلك إيمان ( الكندي ) بأن الحقيقة تراث مشترك بين الأمم على مرّ العصور ، وعلى الرغم من تفاوت المكان والزمان والديانة

واللغة والجنس .. وقد أوجب ( الكندي ) ، فوق ذلك أن يشكر اللاحق السابق الرائد . يقول : « مِن أوجب الحق ألّا نذمّ من كان أحد أسباب منافعنا الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية » . فإنهم « كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ... فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلاً عمن أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم » . وهذا الشكر والعرفان يتجدد لدى سائر الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين ، حتى لدى ( ابن رشد ) ، المتيّمِ بـ ( أرسطو ) ، وشارحِه الشهير ، وصاحبِ مذهب الرشدية الذي كان له الأثر العميق في تطور الفكر الغربي عامة ، والتومائية بوجه خاص .

وقد رصد استاذنا المجمعي الدكتور ( جميل صليبا ) ، قبل ثلاثين عاماً[١٧] ، الإنتاج الفلسفي العربي خلال المائة السنة الأخيرة ، وأشار إلى أن المشتغل بالفلسفة كان في العصور المظلمة يُرمى بالمروق من دينه ، ويُتّهمُ بالزندقة والإلحاد . ثم جاءت مراحل « مدّ البصر إلى أقصى حدود المعرفة . وعمد مؤلفون ومترجمون إلى وضع المصطلحات العربية للتعبير عن المعاني الفلسفية الحديثة ، فأغنَوا لغتنا العربية بالألفاظ الفلسفية ، ومكنّوها من التعبير عن دقائق الفكر الحديث . يقول : « إن العالم العربي لم يتمخض عن فيلسوف عربي كبير على طراز ( أفلاطون ) و ( أرسطو ) و ( ابن سينا ) و ( ابن رشد ) » . وإن ثمة أساتذةً آثروا العناية بتاريخ الفلسفة « وألّفوا كتباً لا تخلو من النظر الدقيق ، والتحليل العميق » . ولكن الأستاذ الكبير ينتهي إلى تميز اتجاهات كثيرة في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، ليس أقلّها الاتجاهُ المادي ، والعقلي ، والروحي ، والتكاملي ، والوجودي ، والشخصاني ، والعلمي » . وعندنا أن هذه الاتجاهاتِ السبعةَ تدل على مشاركة العقل العربي في منازع مختارةٍ من الفكر الغربي والعالمي الراهن .
ولكنَّ لهذه المشاركة تاريخاً أعرقَ من تأثر الباحثين المعاصرين بالاحتكاك

الجديد بالثقافة العالمية . فإذا رجعنا بإلماعة إلى الماضي ألفينا الفلسفة العربية حلقة لازبة في تطور النشاط الفلسفي . وإن المشكلات التي طرحها في الإسكندرية الفكر اليهودي لدى ( فيلون ) ، والمسيحي لدى ( أفلوطين ) هي مشكلات علم الكلام ذاتها . ومن نظرية الفيض تمتح الفلسفة ( الفارابية ) و ( السينوية ) والفلسفات الباطنية التأويلية دون أن يغفل أي مفكر « تقويم » أفكارِ من سبقه ، فتجدهم يجلّون القدامى ، غير غافلين عن قصورهم تارة ، وأخطائهم تارات .

وقد عمدوا إلى تصحيح الغلط ، وتدارك النقص ، والمضي قدماً إلى حلول مبتكرة لمشكلات « ميتافيزيائية » مستعصية . ولم يشذّ نهجهم في هذا كله عن النهج العالمي في الفلسفة ، أعني الطريقة التفكيرية التي نشاهدها هي هي لدى ( أفلاطون ) ، و ( الفارابي ) ، و ( ابن سينا ) . وإن الجدل ذاته هو الذي يتيح للشيخ الرئيس بناء فلسفته بتعمق مفهوم واجب الوجود وتحليل ما ينطوي عليه هذا المفهوم تحليلاً خلفياً مشفوعاً باستطراد أمامي ، ويجيز ربط معنى آله الفيلسوف بفكرة خلق العالَم ، والانتهاء من ذلك إلى اتفاق الحكمة والشريعة ، والعقل مع النقل ، شأن الفلاسفة المسلمين إجمالاً ، وفلاسفة العصر الوسيط الأوربي بوجه أعم . بل إن ( الغزالي ) نفسه ، صاحب النفحة الإلهية ، والإشراقة القلبية ، لا يبعد عن ( ديكارت ) في منطلق الشك المنهجي الموصل إلى يقين الكوجيتو ( الديكارتي ) من جهة ، وإلى ذي العزة والجلال بالذوق الصوفي عند ( أبي حامد ) ، من جهة أخرى .

**المشاركة المعاصرة :**

إن أستاذنا الجليل الدكتور ( صليبا ) لم يدرك منزعاً راهناً لاحقاً في الفكر الفلسفي المعاصر ، وهو المنزع الذي يعي دقائق المشاركة العربية في

الثقافة العالمية ، وذلك بالانطلاق من واقع العروبة التي تواجه في هذه الفترة الأخيرة من القرن العشرين تألباً شبه عالمي يود القضاء عليها وتدميرها ، لولا أن الشعوب لا تموت ، وإن أمكن أن تحيق بها هزائم نكراء ، ونكسات ماحقة الفكر واللغة والثقافة جميعاً .

وهذا المنزع المعاصر محاولة نضالية هادفة تسعى ، في المرتبة الأولى ، إلى إعادة البرهان على حيوية الفكر العربي ، وعلى إمكاناته اللامحدودة ، واللامحددة ، بما لا يقل سطوعاً عن نصوع ما يتحلى به تراثنا العربي الماجد ، وتسعى ، في المرتبة الثانية ، إلى مشاركة حضارية في التقدم الإنساني على سلّم المعمورة بأسرها . ونحن سنختار للتمثيل على هذا المنزع الثاني الإلماع إلى جانبي النظر والعمل ، فنختار أولاً في ميدان النظر العقلي ما يسمى اليوم مجال الأبستمولوجيا أو نقد العلوم . ونختار ثانياً في ميدان العمل ما يعرف باسم فلسفة القيم ، وهو ميدان وسيع جد وسيع ، وله فروع بعضها جمالي فني فيه كلام على البلاغة ، ومن ضروبها التهكم . وبعضها الآخر أخلاقي ، ومن شُعبه الحديث عن الفضيلة عامة ، وعن الكرامة الإنسانية بوجه التخصيص .

فقد بدأ مفهوم العقل في الفكر اليوناني القديم على صورة « هواء مفكر » في نظر ( ديوجين الأبولوني ) ، ثم أصبح « ناراً كونية » في نظر ( هرقليط العجوز ) ، وسما به ( أناكساغور القلامازوني ) إلى فكرة « المبدأ الروحي المدبّر للكون » . وانحدر به المغالطون إلى درك التمويه الذكي طلباً للربح أو الجاه . فجاء ( سقراط ) ، ومن بعده ( أفلاطون ) فـ ( أرسطو ) ، وإذ ذاك استوى الفكر المنطقي القديم على سوقه ، ونهض العرب بنشاطهم الدؤوب ، وأسهموا في تنمية هذا كله ، وولّدوا من معنى العقل البسيط معاني شتى هي بلا ريب مشاركة ثمينة في رقي الفكر الإنساني العالمي .

لنذكر من ذلك قبسة لغوية . العقل هو الحِجى ، لإصابة الحُجَّة به . وهو الحِجْر لحجره عن ركوب المناهي . والنُهى لانتهاء الذكاء والمعرفة إليه . وهو اللبّ ، والملجأ ، والحبل ، والعِقال ، والعاقل ، أو المعقول ، ذو مِرَّة ، أي عقل ، لأن أصل المِرّة إحكام الفتل . والعقل في الاصطلاح جوهر روحاني ، أو نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات . وثمة عقل هيولاني ، وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل . وفي مجال السلوك : إذا كان المرء في أول درجة العقل يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إن كان في أول حد الدهاء قيل له : شيطان . فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقري . فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل : عفريت . وكذلك الجاهل : يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق[١٨] .

أتراها ألفاظاً عربية لأمة واحدة وحسب ، أم أن في مضمونها إغناءً رائعاً لدلالات إنسانية عالمية يحسن بالآخرين أن يمتحوا منها قيماً نفسية واجتماعية وسلوكية معاً ؟

العقــل ، والمنطق ، والقسطــاس المستقيم أو منطق الرحمن عند ( الغزالي ) ، ونقض المنطق لدى ( ابن تيمية ) ... وضروب الشروح على منطق ( أرسطـو ) ، والروح الانتقـادية المنطقيـة لدى ( ابن المقفع ) و ( النظّـام ) و ( الجاحظ ) و ( المعري ) و ( اخوان الصفـاء ) و ( أبي زكريا الرازي ) .. كل ذلك يجيز للنشاط العربي أن يشغل موقعه في نماء الفكر العقلي الإنساني العالمي . ولم يأل المعاصرون جهداً في مسعى اللحاق بركب التطور المنطقي من المنطق الصوري أو التقليدي إلى منطق التناقض والجدل الثـلاثي فـالمنطق الرمزي ومنطق الأولويات ( الاكسيوماتيك ) فالمنطق القيمي ومنه الابستمولوجيا أو نقد العلوم . وتكفينا الإشارة إلى

ما نشرت وزارتا الثقافة والتعليم العالي بدمشق من آثار باحثين عالميين في هذا المجال المتقدم الأخير ، من طبقة ( جان بياجه ) و ( غاستون باشلار ) و ( روبرت بلانشه ) أو ( اليونسكو ) ...

ذلك أن لفظ الأبستمولوجيا مركب من ( ابستيمه )، وهي العلم ، و ( لوجيا ) ، أو المقال . وقد ذهب فريق إلى أن هذا المبحث يعني « علم العلم »[١٩] ، أو أنه « نظرية المعرفة » .. أو أنه « فلسفة العلوم » كما يقول ( لالاند ) ، صاحب المعجم الفلسفي التقني الانتقادي . ولا مراء في أن هذا الاختلاف في التسمية ينمّ عن اختلاف في التحديد وفي الممارسة ، ويوجب عوداً موصولاً إلى تاريخ العلوم ، ومنطق العلوم ، وربما أتخذ نقد الفلسفة ذاتها موضوعاً أبستمولوجياً ، فتصبح صنو ما يسمى التاريخ الفلسفي الانتقادي . وقد جنح ( غاستون باشلار ) إلى تمييز نوعين من الأبستمولوجيا : إحداهما تنقد العلوم ، والأخرى تنقد الأدب .. ودعا إلى ما يسميه التحليل النفسي للمعرفة . وابتكر ( جان بياجه ) ما يدعوه الأبستمولوجيا التكوينية ، وبعض آثاره فيها قيد الترجمة في وزارة التعليم العالي بدمشق ، كما أسهم مترجمون سوريون ، بإشراف هذه الوزارة ، منذ سنوات قليلة ، في نقل أفكاره الأساسية إلى اللغة العربية ، وأسهم سواهم من قطرنا ومن أقطار عربية أخرى في تنمية آراء ( باشلار ) ، وتعميق أفكار مدرسته .

**فلسفة القيم :**

وعلى غرار إسهام الفكر العربي في مراحل تطور المبحث المنطقي حتى الأبستمولوجيا ، كان له إسهام حميد آخر في ميدان فلسفة القيم أو ( الاكسيولوجيا ) من ميادين الفكر العالمي المعاصر .

ومن خاصة هذا المبحث الطريف أنه علم يتناول ما هو ثمين ، كما

يقول ( لافيل ) . فهو يبحث القيم ويشكل فلسفة قيم أو نظرية قيم . وفي مكنة الممعن في تاريخ الفكر الإنساني أن يكتشف بجلاء انطواء كل فلسفة على مسعى قيمي : قيم الخير ، والحق ، والجمال ، وما يتفرع عنها ، ويتصل بها ، ويكملها في عصرنا ، وفي العصور اللاحقة . ومن الجائز قولنا : « إن الإنسان حيوان مقوِّم » أو : « في البدء كانت القيمة » . والقيمة تصور وواقع ووعي . بل إنها وعي بتصور الواقع بالإضافة إلى ما يجب أن يكون .

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الإنسانيون ، ومنهم مؤمنون ومتكلمون ، ينشدون معنى الكمال . والكمال في حقيقته تشوف وتطلع ، تجربة قيمية . وكل فلسفة ذات مطمح عملي هي فلسفة قيمة . إنها حكمة . والحكمة اتخاذ العمل والسلوك ( براكسيس ) غرضاً للتأمل والنظر . وإنما فلسفة القيم ، في آخر المطاف ، فلسفة تغيير العالَم ، فلسفة أنسنة الكون ، أي فلسفة تحديد الإنسان مصيره ومصير الوجود .

البشر كافة ، في جميع أصقاع الأرض ، يتحدثون بالنثر أسلوباً . وبعضهم يجهل معنى النثر لأنه لا يضيفه إلى سواه ، كالشعر . وكذلك فإن الناس قاطبة يمارسون القيم في حياتهم حتى اليومية ، من تغذية ، ودفء ، وسكن ، إلى عقائد وعلاقات أسرية ومهنية واقتصادية . بيد أن جلَّهم لا يفقه قوام ما يفعل . وما فلسفة القيم سوى وعي هذه الممارسة بالذات ، والتعبير عنها بدقة وجلاء . وقد كان للغة العربية ، والأدب العربي ، إسهام رائع في تنمية هذا الوعي القيمي ، وإن تأخرت تسميته باسم الفلسفة القيمية ؛ فمثل ذلك قد حدث في جميع الثقافات ، ولدى الأمم كلها ، حتى مستهل القرن العشرين ، حيث مولد الوعي القيمي .

إننا نلمس بيسر روعة الرافد العربي منذ الإشارة إلى أقرب الأمثلة اللغوية .

إن كانت اللغات المتقدمة الأخرى قد انتهت إلى ما يقاربها ، أو يدنو منها ، دون أن تزيد عليها . ونحسب أن في الأدب المقارن متسعاً رحباً لمثل هذه البحوث وأضرابها ، مما يتعلق حتى بالأمثال ، كل الأمثال ، وهي تنطوي على دلالات قيمية شديدة الاتصال بالوقائع ماضية ومتوقعة ، أو مفترضة ومتخيلة . ولكنها في الحق وقائع تعكس كذلك أمام الناظر المدقّق أصداء صلات الأمم بعضها ببعض ، وتفاعل عاداتها وخصالها ، وحتى أمزجتها وأيامها . ولو أتيحت لجائزة ( نوبل ) فرصٌ عادلة لكان نصيب الأدب العربي أكثر من بيضة ديك .

وهكذا نجد النشاط القيمي العربي يسهم في تطور النشاط العالمي ، وقد أصبح مفهوم القيمة في حقل السلوك الإنساني كمفهوم الطاقة أو القوة في العلم الحديث .

**المقولات البلاغية : التهكم**

لم يكن الفكر العالمي في طفولته ليفصل النظر عن العمل ، وقد ظل الإغريق القدامى يمزجون الفن النافع أو الصناعة بالفن الجميل . وكانوا يطلقون على الرجل المثالي كلمة تعني بآن واحد إنه صالح وجميل Kalos Agtos . وظل المعتزلة والمتكلمون يتحدثون عن الخير والشر باسم الحسن والقبح . وحرص المتصوفة على اتحاد شعوري الجمال والخير . ولكن الفكر الإنساني ما عتم أن تطور ، وافترقت القيم الرئيسة الثلاث بعضها عن بعض بادئ الأمر . ثم اشتد نماء فروعها فصار لكل فن أو قيمة مقولات متعددة يتفاوت تحديدها باختلاف المذاهب والثقافات . وليس بمستغرب أن نجد لغة الفصاحة ، وأمة الكلمة ، وتاريخ البيان تتيح لمثل ( ابن حجة الحموي ) تمييز ما ينوف على مائة وأربعين ضرباً من ضروب البلاغة ، وفنون البديع . منها ، على سبيل المثال : التهكم الذي نعته بأنه « نوع عزيز لعلو مناره ،

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

وصعوبة مسلكه ، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح ، وبالهزل الذي يراد به الحق » .

والحق أن الناظر في هذا الفن يدرك عراقته في التاريخ البشري ، كما يدرك شأوه واستمراره . فقد امتدت جذوره إلى شتى الآداب والثقافات . وفي اللغة العربية كوكبة من المعاني الرهيفة التي تدور حوله دون أن تطابقه : كالفُكاهة ، والدُّعابة ، والإضمار ، والمواربة ، والتلميح ، والتورية ، والتوهيم ، والالغاز .. إلخ .

وقد تهكم ( الجاحظ ) و ( التوحيدي ) و ( ابن زيدون ) فيما سلف . وتهكم في الحاضر كثيرون عندنا . وجرى في هذا السياق ( سقراط ) و ( ارستوفان ) و ( مارسيال ) و ( جوفنال ) ، ثم ( رابله ) و ( شكسبير ) و ( موليير ) و ( فولتير ) و ( سويفت ) و ( مارك توين ) و ( برنارشو ) و ( بيير دانينوس ) ...

والتهكم يحظى في ثقافتنا ، وفي بعض ظروف حياتنا ، كما في الثقافة العالمية المعاصرة ، بعناية عظمى جعلت أكثر من باحث يعدّه ذروة الفطنة ، ومنطلق الفكر الثالث ، وهو الفكر الهادف الضاحك الناقد : يلهو ويؤنب ، ويهدم ليبني ، ويراوغ ليصدق ، يدّعي الجهل لينصر كلمة الحق ، ويهدم الوثنية و « الجمود » في الأعراف وفي الأفعال .

هكذا تشارك اللغة العربية ، ويشارك الذوق العربي ، في لون من أبرع ألوان الذكاء الجمالي في العالم . وليس بمحال أن يطرأ ظرف يمتح فيه أكثر من أدب أجنبي من معين إرهافات البديع العربي : وما أرقّها وأدقها ! وإن ما يُنقل الآن من العربية إلى لغات حية معاصرة ليشهد على هذا الإمكان .

ولكن المشاركة العربية في الثقافة العالمية لا تقتصر على مجالي الحقيقة والجمال . ذلك أن لقاءاً متميزاً يجمعنا والبشرَ في حقل خصيب رئيس هو

حقل العمل أو السلوك ، أي الأخلاق .. تُرى هل ثمة فضيلة عربية ؟ بمثل تساؤلنا عن وجود إنسان عربي وأرض عربية ؟

**العروبة : سجية حضارية**

ليست العروبة، كما أسلفنا ، قومية عنصرية ، ولا سُخطاً أو تزمتاً . إنها مزاج حضاري كسائر أمزجة الأمم والأقوام . والمزاج الحضاري سجية شعب حين يفترق عن بقية الشعوب ، وحين يُقرن بهذه البقية من الشعوب .

ويقول آخر : إن خصائص الأمة تنحل في نهاية المطاف إلى ما يُكسبها المدح والاعتزاز ، أو مايجرّ عليها الذم والامتهان . ونحن ، بعفويتنا القومية ، نعجب طوعاً ، ويسرنا فضل العرب على العجم ، كما قال ( ابن قتيبة )[٢٣] . وقد نغلو بجاهلية فنَعني بالعجم كلّ من ليس عربياً . ومما يروقنا قول ( ابن المقفع ) عن أجدادنا الأقدمين : « إن العرب لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسَفَه ، وتتنزه عن الدناءة والمذمة .. وتوجب للجار حفظ الجوار فوق ما توجبه للحميم والشقيق » .

ولكننا ننظر اليوم بعقولنا إلى وقائع الوجود البشري ، ونرى أن في الناس فضائل أيضاً . والفضيلة بمعناها الدقيق هي الاستعداد لفعل الخير . وهي اختيار . وكذلك الرذيلة . ولم يبق ممكناً ، ولا مقبولاً ، أن يَرجِع فكرنا القهقرى إلى عصور الطفولة البشرية ، فندّعي أن أمة ، أو قوماً ، يمكن أن يتحلى وحده بالفضيلة المطلقة ، وأن لا فضيلة لسواه ، أو أن يكون شعب ، حتى الشعب العربي ، مالكاً باستئثار فضائل البشر كافة ، وأنه مبرأ من كل نقيصة أو مذمة أو عيب .

والقول الفصل في ذلك كله امتزاج موصول لدى الأفراد والأمم لبعض فضيلة وبعض رذيلة . وهذه الأمشاج قوام الوجود الأخلاقي كما تجلوه اللغة العربية ، ومفكروها المدرسيون .

**الفضيلة العربية :**

الفضيلة في « لسان العرب » هي الدرجة الرفيعة من الفضل . والتفاضل تمايز في الفضل . والفواضل هي الأيادي الجميلة . والإفضال الإحسان . وعند ( أبي البقاء ) الفضل هو كل عطية لا تلزم من يعطي . وهو بمعنى الزيادة . والفضيلة تدل على صفات الكمال من العلم ونحوه .. وهي ضد النقيصة ، ومجالها مجال الحكمة العملية من علم السلوك أو الأخلاق ، إلى علم السياسة ، أو تدبير المرء حياته ، وتدبير المنزل ، والمدينة ، والدولة ، فالمعمورة .

يقول ( ابن المقفع ) : « اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية ، وتنازعوا أيهم هو الأفضل ؟ » وقصدوا حكماً قلب وجوه هذه القيم الثلاث ، وانتهى إلى التوفيق بينها « فصاروا هنالك شيئاً واحداً »[٢٤] . وهذا هو الحل الذي اعتنقه في منتصف القرن العشرين الفيلسوف العلّامة ( شارل لالو ) إذ عرض لتنافر قيم الفن والأخلاق ، ودرس تجاذبها وتنابذها . وانتهى في حلّ نزاعها إلى القول إن القيم كافة نلتقي في ذروة النظر المطلق[٢٥] .

**الكرامة الإنسانية :**

إن النظر الإنساني إلى معنى المطلق يقود إلى حلّ المشكلات القيمية في مجالات الحقيقة والخير والجمال . ويكفي أن نشير هنا إلى دلالة مفهوم ذائع جداً كان فيه للغة العربية والفكر العربي اسهام كبير في مسار التطور الثقافي العالمي ، وأعني مفهوم الكرامة الإنسانية .

فعلى صعيد الشعور بالكرامة يتجلى النشاط العربي في جوانب رئيسة شتى : منها الجانب اللغوي والديني والتاريخي والمثالي . ألم تقل العرب : فلان كريم المَحْتِد، والمَنْصِب ، والمَنْبِت ، والعُنْصُر ، والمَغْرِس ، والجِذْم ، والأُرومة ، والنِجار ، والأبوة ، والمنتضى ، والمُركَّب ، والجُرثومة ، والمنتمى .

وكذلك : فلان مُعِمّ ، مُخول ، وفلان كريم الضِّئضئ، والآصرة[٢٦] .. الخ . وقد قال بعضهم ، وما أحسن ما قال : الكرم مثل الحرية ، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ...

وإلى جانب المعطى اللغوي والأدبي نجد في الجانب الديني أن الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . وقد جاء في الذكر الحكيم لفظ الكرم والكرام والأكرم والمُكْرَم في خمسة وأربعين موضعاً . وجاءت كذلك الآية القائلة : ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٢٧]. وفي هذه الآية إيماء إلى مساواة الذكر والأنثى من حيث القيمة والأرومة ، مع إمكان تفاوت الناس كافة من حيث العمل الصالح ، والفعل الكريم .﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وهذه المساواة من جهة ، والمنافسة والمباراة من جهة أخرى ، ظلتا تصطرعان في التاريخ العربي - الإسلامي . فالمساواة كأسنان المشط ، أو أسنان الحمار ، لم تتحقق دوماً في أرض الواقع . وظلت ثمة فوارقُ جنسية واجتماعية وقومية ، وربما عنصرية في بعض الأحيان . ولكن مطلب العزوف عن مساوئ الواقع ، وحصر المنافسة والخصام على المباراة في ابتغاء المزيد من التقوى ظل في الوقت ذاته ناشطاً في ميادين السياسة والمجتمع والاقتصاد والعلم . وهذا الجدل الحي بين واقع مرفوض ، ومثل أعلى مرموق أنجب إرهاقاً نامياً في معطيات الثقافة العربية الإسلامية ، من الفقه حيث الرأي والقياس والاجتهاد ، إلى سائر المنجزات العلمية والتطبيقية المتصلة بقواعد السلوك التي تتيح للإنسان ، وتوجب عليه ، تحقيق إنسانيته الأتم ، وعزته النوعية الأكمل . وإن النشاط العربي لغوياً ودينياً وتاريخياً ومثالياً في درب وعي الكرامة الآدمية إنما هو إسهام عظيم ، ومشاركة حية في الثقافة العالمية ، ومن ورائها في تقدم ما يسمى الحضارة والمدنية على قدر سواء .

**الحضارة والمدنية :**

والحق أن في وسعنا هنا أن نستفيد من خصائص لغتنا العربية الغالية ، فَنَمِيِّزَ معنى الحضارة ومعنى المدنية أحدَهما عن صاحبه . فالحضارة قيمة إنسانية تدل على ما يغيّر به البشر معطيات الطبيعة . والثقافة جزء من الحضارة ، وإن كانت بعض اللغات تجعل الحضارة والثقافة بمعنى واحد . أما المدنية فإنها الغاية التي تنشدها البشرية كلُها وتتخذها في أيامنا هدفاً مشتركاً أسمى لكل فاعلية حضارية وثقافية معاً . إن الحضارة لا تكون صالحة ، ولا قيمة مبتغاة ، بل قد تمسي شراً ورذيلة وهمجية حين تنحازُ إلى القوة الغاشمة فتغفلُ القيم الإيجابية ، وتزنُ بميزانين : أحدهما للقوي أو للأقوى .

في الحضارة ثقافة عاجزة إن لم تؤيد بقوة الحق المبين . وفي الثقافة جهود عقلية وفكرية وعاطفية ، يخسر أصحابها ثمار نَصَبهم إذا لم تؤتِ مشاركتهم أُكلها في الحياة وفي الوجود . أما المدنية فهي المفهوم – القيمة المشتركة الأسمى التي تتسق وكرامة الإنسان الفرد ، والإنسان المجتمع . إنها مطمح الأخلاق والقانون والفكر والعمل ، والفلسفة والسلوك . وهي الديمقراطية ، والإخاء ، والتعاضد ، والوفاء : شمولها يمتد من مكافحة المجاعة والأوبئة والتلوث إلى توافر الأمن والرخاء ومساواة الناس بعضِهم بعضاً ، إن لم نقل إحسان الإنسان إلى الإنسان .

وفي هذا الإطار القيمي الرحب ، وعلى هذا النحو من المشاركة التاريخية اللازبة ، تسهم ثقافتنا العربية ، عَبْر لغتنا المعطاء ، إسهاماً وافياً في الثقافة العالمية ، وهو إسهام جدير بالإبانة والتقدير .

أيها السيدات والسادة :

إن هذا كله غيض من فيض رسالة المجمع الخالدة ، ينهض بها قادةٌ أجلّاء مجمعيون .

طبتم عيشاً ، وأفضلتم سَمَاعاً ، وأجملتم صبراً ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم .



ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

الحواشي

(١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا ( مجلة المجمع ـ المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ) .

(٢) د. عبد الكريم اليافي : حفل استقبال د. عبد الحليم سويدان ( مجلة المجمع المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤ ) .

(٣) أخوان الصفاء : الرسائل ـ تصحيح خير الدين الزركلي ـ القاهرة ١٩٢٨ ج٣ الرسالة ١٧ ص١٥٢ .

(٤) جاء على لسان ( فؤاد الخطيب ) قوله :

وهل لعيوني ، قبل موتي ، أن أرى ... فتى عربياً يأنف الذل مقعدا ؟
يردّ على « أم اللغات » جلالها ... ويجعل للمجد الطريق معبَّدا ؟

( المجلة ـ العدد ٤٠ السنة ٤ أبريل ( نيسان ) ١٩٦٠ ص٥٨ ) .

(٥) د. عبد الحليم سويدان : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع ـ المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤ ) .

(٦) شفيق جبري : حفل استقبال د. حكمة هاشم بتاريخ ١٩٥٤/٣/٢٥ .

(٧) حفل استقبال د. شكري فيصل بتاريخ ١٩٦٣/٢/١ .

(٨) حفل استقبال د. مختار هاشم بتاريخ ١٩٨٩/٥/١١ ( مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٤٨ ) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع المجلد ٥٥ ج٣ تموز ١٩٨٠ ) .

(١٠) د. عبد الكريم اليافي : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع المجلد ٥٢ ج٣ تموز ١٩٧٧ ) .

(١١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا ( المصدر المذكور )

(١٢) د. إحسان النص : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٩٥ ) .

(١٣) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله ( المصدر المذكور ) .

(١٤) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط٢ دمشق ١٩٦٥ ص٣٢ وص١٧٦ .

(١٥) سورة البقرة /٢٥٥ .

(١٦) سورة يونس /٩٩ .

(١٧) د. جميل صليبا : الإنتاج الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي ( مجلة

المجمع مجلد ٣٦ ج٤ ومجلد ٣٧ ج١ ) – وانظر : الفكر الفلسفي في مائة سنة ( هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية – بيروت ١٩٦٢ ص٣٩٣ ) .

(١٨) أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت : مختصر تهذيب الألفاظ – تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي – بيروت ١٨٩٧ ص١١٢ .

(١٩) المعجم العام للعلوم الاجتماعية بإشراف ( ج. تينس وآ. لامبرور ) باريز ١٩٧٥ – مادة أبستمولوجيا .

(٢٠) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : فقه اللغة وسر اللغة العربية – القاهرة – بلاتا ص٢٢٦ .

(٢١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – صححه مصطفى السقا – القاهرة ١٩٥٥ ص١١ .

(٢٢) المصدر السابق ص١٠٣ .

(٢٣) محمد كردعلي : رسائل البلغاء : كتاب العرب لابن قتيبة – ( ط٣ القاهرة ١٩٤٦ ص٣٤٤ ) .

(٢٤) المصدر السابق : يتيمة السلطان لابن المقفع (ص١٤٦) .

(٢٥) شارل لالو : الفن والأخلاق – ترجمة عادل العوا – دمشق ١٩٦٥ .

(٢٦) عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني : الألفاظ الكتابية – القاهرة ١٩٣١ ص٣١ .

(٢٧) سورة الحجرات/١٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# في بيان نسبة
## كتاب ( المنصوري ) في الطب

الدكتور شاكر الفحام

### ١

كان أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي ( ٢٥١ – ٣١٣هـ )[١] من أشهر علماء عصره ، جمع المعرفة بعلوم القدماء ، ويقول ابن أبي أصيبعة في صفته : « وكان [ الرازي ] من صغره مشتهياً للعلوم العقلية ، مشتغلاً بها ، وبعلم الأدب ، وبقول الشعر »[٢] . وقد أكبَّ على علم الكيمياء ( الصنعة ) ، وتمهّر بالطب حتى كان فيه إمام وقته ، وأقبل على دراسة الفلسفة فبلغ فيها الغاية . دبَّر مارستان الريّ ، ثم مارستان بغداد زماناً . وقد ألّف فأكثر وأجاد ، وصنَّف في الطب الكتب النافعة[٣] ، وصنع فهرساً لمؤلفاته نقله ابن النديم في كتابه[٤] ، وتبعه في ذلك القفطي[٥] ، وعاد أبو الريحان البيروني فألف فهرساً لكتب الرازي[٦] . ثم قفّى على أثرهما ابن

(١) فهرست كتابهاي رازي لأبي الريحان البيروني ، تح.الدكتور مهدي محقق : ١ ، ٤ ، ٥ .

(٢) طبقات الأطباء : ٤١٤ .

(٣) الفهرست لابن النديم : ٣٥٦ ، طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ ، طبقات الأمم لصاعد : ٨٣ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٥٧ – ١٥٨ .

(٤) الفهرست : ٣٥٧ – ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها ابن النديم : (١٦٧) كتاب .

(٥) أخبار الحكماء : ٢٧٣ – ٢٧٧ .

(٦) فهرست كتابهاي رازي : ٥ – ١٨ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها البيروني : (١٨٤) كتاب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبي أصيبعة ، وكان كثيراً ما يتبع ذكر الكتاب بيان موضوعه وغرضه[٧] .

ومن أبرز كتب الرازي الطبية : كتاب الحاوي[٨] ، وكتاب المنصوري[٩] .

وقد اختلف مترجمو الرازي في بيان مَنْ نُسب إليه المنصوري الذي ألّف له الرازي كتابه ، ووسمه باسمه . وهذه طائفة من أقوالهم :

١ - قال ابن النديم في الفهرست وهو يتحدث عن الرازي : « ... وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة ، وله ألّف كتاب المنصوري » .

- ثم عاد فعدّد كتبه فقال : « كتاب المنصوري في الطب ، إلى منصور بن إسماعيل ( بن نوح بن نصر من ملوك آل سامان ) ...... »[١٠] .

٢ - وقال أبو الريحان البيروني وهو يسرد كتب الرازي : « .... الكناش المنصوري ، عمله لمنصور بن أسد ، قرابة والي خراسان »[١١] .

٣ - وذكر ابن جلجل وهو يعدّد كتب الرازي : « .... ومنها كتابه الذي بعث به إلى المنصور بن خاقان »[١٢] .

(٧) طبقات الأطباء : ٤٢١ - ٤٢٧ ، وبلغ عدد الكتب التي عددها ابن أبي أصيبعة : (٢٣٥) كتاب .

(٨) طبع كتاب ( الحاوي ) في ثلاثة وعشرين جزءاً ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن - الهند (١٩٥٥ - ١٩٧١م ) . ثم طبعته الدائرة طبعة ثانية .

(٩) طبع كتاب ( المنصوري ) في الكويت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ) . وهو من منشورات معهد المخطوطات العربية .

(١٠) الفهرست : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وذكر محقق الكتاب أن ما جاء بين هلالين فهو بخط غير الخط الذي كتبت به المخطوطة .

(١١) فهرست كتابهاي رازي : ٦ .

(١٢) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ .

٤ ـ وتحدث ابن أبي أصيبعة فأورد رواية ابن النديم في الفهرست ، ثم قال في موضع آخر : « وصنّف كتابه المنصوري للمنصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر » ، وعاد فقال وهو يعدّد كتب الرازي : « كتاب المنصوري : ألفه للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان .... »[١٣] .

٥ ـ وقال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن مدينة الريّ : « .... ومن أعيان من يُنسب إليها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم صاحب الكتب المصنفة . مات بالري ، بعد منصرفه من بغداد ، في سنة ٣١١هـ ، عن ابن شيراز »[١٤] . ثم قال بعد ذلك يذكر إسماعيل بن أحمد الساماني[١٥] : « ... فرجع فنزل بظاهر الريّ ، ولم يدخلها ، فخرج إليه أهلها وسألوه أن يتولى عليهم ، ويكاتب الخليفة في ذلك ويخطب ولاية الريّ ، فامتنع .... وارتحل عائداً إلى خراسان في ذي الحجة سنة ٢٨٩ ، ثم جاء عهده بولاية الري من المكتفي[١٦] وهو بخراسان ، فاستعمل على الري من قبله ابنَ أخيه أبا صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد فوليها ست

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٣) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ .

(١٤) كثر الاختلاف في زمن وفاة الرازي . وذكر أكثر مترجميه أن وفاته كانت سنة ٣١١هـ ، وجعلها البيروني سنة ٣١٣هـ . وانظر بقية الأقوال في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤٢٠ ، وأخبار الحكماء للقفطي : ٢٧٢ .

(١٥) في معجم البلدان : « أحمد بن إسماعيل » ، ولعله سهو من المؤلف أو الناسخ ، فإسماعيل بن أحمد بن أسد تولى ملك السامانيين (٢٧٩ ـ ٢٩٥هـ ) ، وخلفه ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد الذي تولى الملك (٢٩٥ ـ ٣٠١هـ ) . انظر تاريخ بخارى للنرشخي: ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ـ ١٢٦ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ٧٤ ، ١١٧ ـ ١١٨ ، ١٤٤ ـ ١٤٥/سنة ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠١هـ .

(١٦) ذكر ابن الأثير أن الخليفة المكتفي ( وقد تولى الخلافة : ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ ) أنفذ عهداً إلى إسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الري ، فسار إليها وبها محمد بن هارون ، فكانت بينهما وقعة ، فانهزم محمد ، ودخل إسماعيل الري ( الكامل ٦ : ١٠٤ ، ١٠٧/سنة ٢٨٩ ، ٢٩٠هـ ) .

سنين ، وهو الذي صنف له أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم كتاب المنصوري في الطب ، وهو الكناشة . وكان قدوم منصور إليها في سنة ٢٩٠ »[١٧] .

٦ – ونقل القفطي وهو يترجم لأبي بكر الرازي مقالة ابن جلجل في تفسير نسبة المنصوري ، ثم عاد فنقل عبارة ابن النديم[١٨] .

٧ – أما ابن خلكان فقال في ترجمة الرازي : « .... وله أيضاً كتاب المنصوري المختصر المشهور .... وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد[١٩] بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه .... وكانت وفاة أبي صالح المذكور في شوال سنة ٣٦٥هـ[٢٠] ، وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به . ثم رأيتُ نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره : ان المنصور الذي وسم الرازيّ هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح[٢١] ، من ولد بهرام كور ، صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته أبو صالح ... »[٢٢] .

٨ – وقال الصفدي متحدثاً عن المنصوري : « صنفه لأبي صالح منصور بن نوح أحد ملوك السامانية »[٢٣] .

(١٧) معجم البلدان ( الريّ ) .

(١٨) أخبار الحكماء : ٢٧٢ .

(١٩) أسقط ابن خلكان اسم أحمد الساماني الملقب بالشهيد . والصواب : نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد .... » . وقد تولّى أحمد بن إسماعيل الملك سنة (٢٩٥ – ٣٠١هـ) . انظر الحاشية السابقة رقم (١٥) .

(٢٠) وهذا التاريخ يخالف رواية ابن الأثير الذي جعل وفاة أبي صالح في منتصف شوال سنة ٣٦٦هـ . ( الكامل ٧ : ٨١/سنة ٣٦٦هـ ) . وانظر تاريخ بخارى : ١٣٣ ، ١٤٣ .

(٢١) الصواب : أحمد بن أسد .

(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٨ ، ١٦٠ .

(٢٣) الوافي بالوفيات ٣ : ٧٦ ، نكت الهميان : ٢٤٩ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩ – وقال الذهبي وهو يترجم للرازي : « وكتاب المنصوري ، صنفه للملك منصور بن نوح الساماني »[٢٤] .

١٠ – وتحتفظ نسختان من مخطوطات ( المنصوري ) التي اعتمدها محقق الكتاب بذكر الأمير الذي وسم الكتاب باسمه :

– جاء في نسخة تيمور : « .... قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : إني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد .... » .

– وجاء في نسخة الأوقاف : « قال أبو بكر محمد بن زكريا المتطبب الرازي رحمه الله : إني جامع للأمير سيدي وابن سيدي أبي صالح منصور بن إسحاق – أطال الله بقاءه – في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ، ومتحرٍّ في ذلك الاختصار والايجاز .... »[٢٥] .

– ويذكر الأستاذ فؤاد سيد محقق كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل أن مخطوطة الخزانة التيمورية تذكر في مقدمتها : « أما بعد فإني جامع للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ... » ، ويماثلها ما جاء في نسخة آقاي حسين بطهران[٢٦] .

٢

إن أقصر الطرق وأسلمها لحل هذا الخلاف هو العودة إلى كتب التاريخ . ونستطيع أن نتبين من مجمل ما قاله المؤرخون في حديثهم عن ملوك السامانية الذين قامت دولتهم في ما وراء النهر ، ثم ضموا إليها خراسان ، وكانت بخارى كرسيَّ مملكتهم ، وعلى هدي ما جاء في مقدمة كتاب

(٢٤) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٥٤ .

(٢٥) المنصوري في الطب ( ط.الكويت – ١٩٨٧م ) : ١٧ .

(٢٦) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٩ .

المنصوري ( مخطوطة الأوقاف ، ومخطوطة الخزانة التيمورية التي ذكرها الأستاذ فؤاد سيد ) أن الأمير الذي أهدى أبو بكر الرازي كتابه إليه ، ووسمه باسمه هو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد [ بن سامان ] ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ، وتسقط الأقوال الأخرى التي أثبتها مترجمو الرازي ، لأنها تخالف حيناً ما أطلعنا عليه في كتب المؤرخين من أنساب السامانيين ، ولا تلائم الوقائع والأحداث حيناً آخر . ولقد شعر بالحرج المؤرخ الكبير ابن خلكان حين نسب المنصوري إلى أبي صالح منصور بن نوح الذي تولى الملك سنة (٣٥٠ - ٣٦٦هـ)[٢٧] ، ولجأ إلى التكلف والتخمين ليصحح الرواية فقال : « وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به » .

٣

وهذه كلمة في التعريف بالأمير أبي صالح منصور .

كان أبوه إسحاق بن أحمد بن أسد بن سامان أمير سمرقند وفرغانة ، ولما تولّى ملك السامانيين أبو نصر أحمد بن إسماعيل بن أحمد (٢٩٥ - ٣٠١هـ ) خلفاً لأبيه إسماعيل ، خاف عمَّه إسحاق فسجنه ثلاث سنين (٢٩٥ - ٢٩٨هـ ) ، ثم أطلقه[٢٨] .

وقد استولى أبو نصر أحمد على سجستان سنة ٢٩٨هـ ، فولّى ابن عمه أبا صالح منصور بن إسحاق عليها ، فظلَّ بها حتى ثار الناس في سجستان سنة ٣٠٠هـ وحبسوه ، ثم أفرجوا عنه بعد أن عادوا إلى الطاعة .

وتولى أبو صالح نيسابور سنة ٣٠٠هـ[٢٩] ، ولما قُتل ابن عمه

---

(٢٧) الكامل لابن الأثير ٦ : ٣٥٩ ، ٧ : ٨١/سنة ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، وانظر الحاشية السابقة رقم (٢٠) .

(٢٨) الكامل ٦ : ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٥/سنة ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١هـ .

(٢٩) الكامل ٦ : ١٣٧ ، ١٤١ - ١٤٢/سنة ٢٩٨ ، ٣٠٠هـ .

أبو نصر أحمد بن إسماعيل ملك السامانية سنة ٣٠١هـ ، واضطربت الأمور على الملك الساماني الجديد الصغير أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل (٣٠١ – ٣٣١هـ ) وكثر المخالفون ، رفع الأمير منصور راية الخلاف في نيسابور سنة ٣٠٢هـ ، ولكن الأيام لم تمهله ، فمات في السنة نفسها ( سنة ٣٠٢هـ ) ، وقيل : مات مسموماً[٣٠] .

وتبقى رواية ياقوت في أن أبا صالح منصور بن إسحاق قد ولي الري ست سنين (٢٩٠ – ٢٩٦هـ ) ، فهذه الرواية تفرد بها ياقوت ، ولم أجد فيما اطلعتُ عليه من كتب المؤرخين ما يعضدها او ينفيها .

وقد عُرف ياقوت بسعة الاطلاع ، ووفور المعرفة ، وتمكنه من مراجعة خزائن الكتب الغنية بالمؤلفات النفيسة النادرة ، فأكمل بكلمته عن أبي صالح ما كان أغفله المؤرخون حين عددوا ولاة الري ، وتحدثوا عن أحداثها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد صنف أبو بكر الرازي للأمير أبي صالح منصور بن إسحاق كتاباً ثانياً هو كتاب الطب الروحاني . وقصّ في مفتتحه بيان سبب تأليفه فقال : « جرى بحضرة الأمير – أطال الله بقاءه – ذكرُ مقالة عملتُها في إصلاح الأخلاق ، سألنيها بعضُ إخواني بمدينة السلام أيام مقامي بها ، فأمر سيدي الأمير – أيده الله – بإنشاء كتاب يحتوي على جُمَل هذا المعنى بغاية الاختصار والايجاز ، وأن أُسِمَه بالطب الروحاني ، فيكون قريناً للكتاب المنصوري الذي غرضُه في الطب الجسماني ، وعديلاً له ، لما قدَّر – أدام الله عزّه – في ضمّه إليه من عموم النفع ، وشموله للنفس والجسد .... »[٣١] .

---

(٣٠) تاريخ بخارى : ١٢٧ ، الكامل لابن الأثير ٦ : ١٤٨ – ١٤٩/سنة ٣٠٢هـ .

(٣١) رسائل فلسفية ، تح. كراوس ( القاهرة – ١٩٣٩م ) ١ : ١٥ .

# أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
## في مطلع عام ١٩٩٢م ( جُمادى الآخرة ١٤١٢هـ )
### أ ــ الأعضاء العاملون

| | تاريخ دخول المجمع |
|---|---|
| الدكتور عدنان الخطيب | |
| « أمين المجمع » | ١٩٦٠ |
| الدكتور أمجد الطرابلسي | ١٩٦١ |
| الأستاذ المهندس وجيه السمان | ١٩٦٨ |
| الدكتور شاكر الفحام | |
| «نائب الرئيس» | ١٩٧١ |
| الدكتور عبد الرزاق قدورة | ١٩٧٥ |
| الدكتور محمد هيثم الخياط | ١٩٧٦ |
| الدكتور عبد الكريم اليافي | ١٩٧٦ |
| الأستاذ أحمد راتب النفاخ | ١٩٧٦ |
| الدكتور إحسان النص | ١٩٧٩ |

| | تاريخ دخول المجمع |
|---|---|
| الدكتور محمد مروان محاسني | ١٩٧٩ |
| الدكتور عبد الحليم سويدان | ١٩٨٣ |
| الدكتور عبد الله واثق شهيد | ١٩٨٨ |
| الدكتور محمد بديع الكسم | ١٩٨٨ |
| الدكتور مختار هاشم | ١٩٨٨ |
| الدكتور محمد زهير البابا | ١٩٨٨ |
| الدكتور عادل العوا | ١٩٩١ |
| الدكتور عبد الوهاب حومد | ١٩٩١ |
| الأستاذ جورج صدقي | ١٩٩١ |
| الأستاذ سليمان العيسى | ١٩٩١ |

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

## ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

| | تاريخ دخول المجمع |
|---|---|
| **المملكة الأردنية الهاشمية** | |
| الدكتور ناصر الدين الأسد | ١٩٦٩ |
| الدكتور سامي خلف حمارنة | ١٩٧٧ |
| الدكتور عبد الكريم خليفة | ١٩٨٦ |
| الدكتور محمود إبراهيم | ١٩٨٦ |
| الدكتور محمود السمرة | ١٩٨٦ |
| **الجمهورية التونسية** | |
| الأستاذ محمد المزالي | ١٩٧٨ |
| الدكتور محمد الحبيب بلخوجة | ١٩٨٦ |
| الدكتور محمد سويسي | ١٩٨٦ |
| الدكتور رشاد حمزاوي | ١٩٨٦ |
| **الجمهورية الجزائرية** | |
| الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي | ١٩٧٢ |
| الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح | ١٩٧٧ |
| الدكتور صالح الخرفي | ١٩٨٦ |
| **المملكة العربية السعودية** | |
| الأستاذ حمد الجاسر | ١٩٥١ |
| **جمهورية السودان** | |
| الدكتور محيي الدين صابر | ١٩٨٥ |
| الدكتور عبد الله الطيب | ١٩٨٥ |

| | تاريخ دخول المجمع |
|---|---|
| **الجمهورية العربية السورية** | |
| الدكتور قسطنطين زريق | ١٩٥٤ |
| **الجمهورية العراقية** | |
| الشيخ محمد بهجت الأثري | ١٩٣١ |
| الأستاذ كوركيس عواد | ١٩٤٨ |
| الأستاذ محمود شيت خطاب | ١٩٦٩ |
| الدكتور فيصل دبدوب | ١٩٦٩ |
| الدكتور عبد اللطيف البدري | ١٩٧٣ |
| الدكتور جميل الملائكة | ١٩٧٣ |
| الدكتور عبد العزيز الدوري | ١٩٧٣ |
| الدكتور محمود الجليلي | ١٩٧٣ |
| الدكتور عبد العزيز البسام | ١٩٧٣ |
| الدكتور صالح أحمد العلي | ١٩٧٣ |
| الدكتور يوسف عز الدين | ١٩٧٣ |
| الدكتور محمد تقي الحكيم | ١٩٧٣ |
| **فلسطين** | |
| الدكتور إحسان عباس | ١٩٧٢ |
| الأستاذ أكرم زعيتر | ١٩٨٥ |
| **الجمهورية اللبنانية** | |
| الدكتور فريد سامي الحداد | ١٩٧٢ |

ARCHIVE
Archivebeta.Sakhrit.com

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

| | تاريخ دخول المجمع |
|---|---|
| **جمهورية مصر العربية** | |
| الأستاذ محمود محمد شاكر | ١٩٧٧ |
| الدكتور رشدي الراشد | ١٩٨٦ |
| الأستاذ وديع فلسطين | ١٩٨٦ |
| **المملكة المغربية** | |
| الأستاذ الأخضر غزال | ١٩٧٨ |
| الدكتور عبد الهادي التازي | ١٩٨٦ |
| الأستاذ عبد الرحمن الفاسي | ١٩٨٦ |
| الدكتور محمد بن شريفة | ١٩٨٦ |
| الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله | ١٩٨٦ |
| **الجمهورية العربية اليمنية** | |
| الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع | ١٩٨٥ |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ج ــ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

### الاتحاد السوفيتي

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

### اسبانية

الأستاذ اميليو غارسيا غومز ١٩٤٨

### إيران

الدكتور محمد جواد مشكور ١٩٧٧
الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦
الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

### ايطالية

الأستاذ غبريلي ( فرنسيسكو ) ١٩٤٨

### باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن
المعصومي ـــــ ١٩٦٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

### تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧
الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

تاريخ دخول المجمع

### السويد

الأستاذ ديدرينغ سفن ١٩٦٥

### الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

### فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

### فنلانده

الأستاذ كرسيكو ( يوحنا اهتنن ) ١٩٢٣

### النروج

الأستاذ مويرج ١٩٢١

### النمسا

الأستاذ جير ١٩٢١
الدكتور موجيك ( هانز ) ١٩٢٨
الدكتور اشتولز ( كارل ) ١٩٥٤

### الهند

الأستاذ أبو الحسن علي
الحسني الندوي ١٩٥٧
الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥
الدكتور عبد الحليم الندوي ١٩٨٦

| رؤساء المجمع الراحلون | مدة تولّيه رئاسة المجمع |
|---|---|
| الأستاذ محمد كرد علي | (١٩١٩ – ١٩٥٣) |
| الأستاذ خليل مردم بك | (١٩٥٣ – ١٩٥٩) |
| الأمير مصطفى الشهابي | (١٩٥٩ – ١٩٦٨) |
| الأستاذ الدكتور حسني سبح | (١٩٦٨ – ١٩٨٦) |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

## أ ـ الأعضاء العاملون

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الشيخ طاهر السمعوني الجزائري | ١٩٢٠ |
| الأستاذ الياس قدسي | ١٩٢٦ |
| الأستاذ سليم البخاري | ١٩٢٨ |
| الأستاذ مسعود الكواكبي | ١٩٢٩ |
| الأستاذ أنيس سلوم | ١٩٣١ |
| الأستاذ سليم عنحوري | ١٩٣٣ |
| الأستاذ متري قندلفت | ١٩٣٤ |
| الشيخ سعيد الكرمي | ١٩٣٥ |
| الشيخ أمين سويد | ١٩٣٦ |
| الأستاذ عبد الله رعد | ١٩٣٦ |
| الشيخ عبد الرحمن سلام | ١٩٤١ |
| الأستاذ رشيد بقدونس | ١٩٤٣ |
| الأستاذ أديب التقي | ١٩٤٥ |
| الشيخ عبد القادر المبارك | ١٩٤٧ |
| الأستاذ معروف الأرناؤوط | ١٩٤٨ |
| الدكتور جميل الخاني | ١٩٥١ |
| الأستاذ محسن الأمين | ١٩٥٢ |
| الأستاذ محمد كرد علي | |
| « رئيس المجمع » | ١٩٥٣ |
| الأستاذ سليم الجندي | ١٩٥٥ |

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الأستاذ محمد البزم | ١٩٥٥ |
| الشيخ عبد القادر المغربي | |
| « نائب الرئيس » | ١٩٥٦ |
| الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف | ١٩٥٦ |
| الأستاذ خليل مردم بك | |
| « رئيس المجمع » | ١٩٥٩ |
| الدكتور مرشد خاطر | ١٩٦١ |
| الأستاذ فارس الخوري | ١٩٦٢ |
| الأستاذ عز الدين التنوخي | |
| « نائب الرئيس » | ١٩٦٦ |
| الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي | |
| « رئيس المجمع » | ١٩٦٨ |
| الأمير جعفر الحسني | |
| « أمين المجمع » | ١٩٧٠ |
| الدكتور سامي الدهان | ١٩٧١ |
| الدكتور محمد صلاح الدين | |
| الكواكبي | ١٩٧٢ |
| الأستاذ عارف النكدي | ١٩٧٥ |
| الأستاذ محمد بهجت البيطار | ١٩٧٦ |
| الدكتور جميل صليبا | ١٩٧٦ |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الدكتور أسعد الحكيم | ١٩٧٩ |
| الأستاذ شفيق جبري | ١٩٨٠ |
| الدكتور ميشيل الخوري | ١٩٨٠ |
| الأستاذ محمد المبارك | ١٩٨١ |
| الدكتور حكمة هاشم | ١٩٨٢ |
| الأستاذ عبد الكريم زهور عدي | ١٩٨٥ |
| الدكتور شكري فيصل | |
| « أمين المجمع » | ١٩٨٥ |
| الدكتور محمد كامل عياد | ١٩٨٦ |
| الدكتور حسني سبح | |
| « رئيس المجمع » | ١٩٨٦ |
| الأستاذ عبد الهادي هاشم | ١٩٨٨ |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|

### المملكة الأردنية الهاشمية

| | |
|---|---|
| الأستاذ محمد الشريقي | ١٩٧٠ |

### الجمهورية التونسية

| | |
|---|---|
| الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب | ١٩٦٨ |
| الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور | ١٩٧٠ |
| الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور | ١٩٧٣ |
| الأستاذ عثمان الكعاك | ١٩٧٦ |

### الجمهورية الجزائرية

| | |
|---|---|
| الشيخ محمد بن أبي شنب | ١٩٢٩ |
| الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي | ١٩٦٥ |
| محمد العيد محمد علي خليفة | ١٩٧٩ |

### المملكة العربية السعودية

| | |
|---|---|
| الأستاذ خير الدين الزركلي | ١٩٧٦ |

### جمهورية السودان

| | |
|---|---|
| الشيخ محمد نور الحسن | |

### الجمهورية العربية السورية

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الدكتور صالح قنباز | ١٩٢٥ |
| الأب جرجس شلحت | ١٩٢٨ |
| الأب جرجس منش | ١٩٣٣ |
| الأستاذ جميل العظم | ١٩٣٣ |
| الشيخ كامل الغزي | ١٩٣٣ |
| الأستاذ جبرائيل رباط | ١٩٣٥ |
| الأستاذ ميخائيل الصقال | ١٩٣٨ |
| الأستاذ قسطاكي الحمصي | ١٩٤١ |
| الشيخ سليمان الأحمد | ١٩٤٢ |
| الشيخ بدر الدين النعساني | ١٩٤٣ |
| الأستاذ ادوار مرقص | ١٩٤٨ |
| الأستاذ راغب الطباخ | ١٩٥١ |
| الشيخ عبد الحميد الجابري | ١٩٥١ |
| الشيخ عبد الحميد الكيالي | ١٩٥٦ |
| الشيخ محمد زين العابدين | ١٩٥١ |
| الشيخ محمد سعيد العرفي | ١٩٥٦ |
| البطريرك مار اغناطيوس افرام | ١٩٥٧ |
| المطران ميخائيل بخاش | ١٩٥٨ |
| الأستاذ نظير زيتون | ١٩٦٧ |
| الدكتور عبد الرحمن الكيالي | ١٩٦٩ |
| الأستاذ محمد سليمان الأحمد ( بدوي الجبل ) | ١٩٨١ |
| الأستاذ عمر أبو ريشة | ١٩٩٠ |

### الجمهورية العراقية

| | |
|---|---|
| الأستاذ محمود شكري الآلوسي | ١٩٢٤ |
| الأستاذ جميل صدقي الزهاوي | ١٩٣٦ |
| الأستاذ معروف الرصافي | ١٩٤٥ |
| الأستاذ طه الراوي | ١٩٤٦ |
| الأب انستاس ماري الكرملي | ١٩٤٧ |
| الدكتور داود الجلبي الموصلي | ١٩٦٠ |
| الأستاذ طه الهاشمي | ١٩٦١ |

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الأستاذ محمد رضا الشبيبي | ١٩٦٥ |
| الأستاذ ساطع الحصري | ١٩٦٩ |
| الأستاذ منير القاضي | ١٩٦٩ |
| الدكتور مصطفى جواد | ١٩٦٩ |
| الأستاذ عباس العزاوي | ١٩٧١ |
| الأستاذ كاظم الدجيلي | ١٩٧٢ |
| الأستاذ كمال إبراهيم | ١٩٧٣ |
| الدكتور ناجي معروف | ١٩٧٧ |
| البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث | ١٩٨٠ |
| الدكتور عبد الرزاق محيي الدين | ١٩٨٣ |
| الدكتور إبراهيم شوكة | ١٩٨٣ |
| الدكتور فاضل الطائي | ١٩٨٣ |
| الدكتور سليم النعيمي | ١٩٨٤ |
| الأستاذ طه باقر | ١٩٨٤ |
| الدكتور صالح مهدي حنتوش | ١٩٨٤ |
| الأستاذ أحمد حامد الصراف | ١٩٨٥ |
| الدكتور أحمد عبد الستار الجواري | ١٩٨٨ |
| الدكتور جميل سعيد | ١٩٩٠ |

## فلسطين

| | |
|---|---|
| الأستاذ نخلة زريق | ١٩٢١ |
| الشيخ خليل الخالدي | ١٩٤١ |
| الأستاذ عبد الله مخلص | ١٩٤٧ |
| الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي | ١٩٤٨ |
| الأستاذ خليل السكاكيني | ١٩٥٣ |

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الأستاذ عادل زعيتر | ١٩٥٧ |
| الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي | ١٩٦٣ |
| الأستاذ قدري حافظ طوقان | ١٩٧١ |

## الجمهورية اللبنانية

| | |
|---|---|
| الأستاذ حسن بيهم | ١٩٢٥ |
| الأب لويس شيخو | ١٩٢٧ |
| الأستاذ عباس الأزهري | ١٩٢٧ |
| الأستاذ عبد الباسط فتح الله | ١٩٢٩ |
| الشيخ عبد الله البستاني | ١٩٣٠ |
| الأستاذ جبر ضومط | ١٩٣٠ |
| الأستاذ أمين الريحاني | ١٩٤٠ |
| الأستاذ جرجي يني | ١٩٤١ |
| الشيخ مصطفى الغلاييني | ١٩٤٥ |
| الأستاذ عمر الفاخوري | ١٩٤٦ |
| الأستاذ بولس الخولي | |
| الأمير شكيب أرسلان | ١٩٤٦ |
| الشيخ إبراهيم المنذر | ١٩٥١ |
| الشيخ أحمد رضا ( العاملي ) | ١٩٥٣ |
| الأستاذ فيليب طرزي | ١٩٥٦ |
| الشيخ فؤاد الخطيب | ١٩٥٧ |
| الدكتور نقولا فياض | ١٩٥٨ |
| الشيخ سليمان ظاهر | ١٩٦٠ |
| الأستاذ مارون عبود | ١٩٦٢ |
| الأستاذ بشارة الخوري ( الأخطل الصغير ) | ١٩٦٨ |
| الأستاذ أمين نخلة | ١٩٧٦ |

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الأستاذ أنيس مقدسي | ١٩٧٧ |
| الأستاذ محمد جميل بيهم | ١٩٧٨ |
| الدكتور صبحي المحمصاني | ١٩٨٦ |
| الدكتور عمر فرّوخ | ١٩٨٧ |

## الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

| | |
|---|---|
| الأستاذ علي الفقيه حسن | ١٩٨٥ |

## جمهورية مصر العربية

| | |
|---|---|
| الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي | ١٩٢٤ |
| الأستاذ رفيق العظم | ١٩٢٥ |
| الأستاذ يعقوب صروف | ١٩٢٧ |
| الأستاذ أحمد تيمور | ١٩٣٠ |
| الأستاذ أحمد كمال | ١٩٣٢ |
| الأستاذ حافظ إبراهيم | ١٩٣٢ |
| الأستاذ أحمد شوقي | ١٩٣٢ |
| الأستاذ داود بركات | ١٩٣٣ |
| الأستاذ أحمد زكي باشا | ١٩٣٤ |
| الأستاذ محمد رشيد رضا | ١٩٣٥ |
| الأستاذ أسعد خليل داغر | ١٩٣٥ |
| الأستاذ مصطفى صادق الرافعي | ١٩٣٧ |
| الأستاذ أحمد الاسكندري | ١٩٣٨ |
| الدكتور أمين المعلوف | ١٩٤٣ |
| الشيخ عبد العزيز البشري | ١٩٤٣ |
| الأمير عمر طوسون | ١٩٤٤ |
| الدكتور أحمد عيسى | ١٩٤٦ |
| الشيخ مصطفى عبد الرازق | ١٩٤٧ |

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| الأستاذ أنطون الجميل | ١٩٤٨ |
| الأستاذ خليل مطران | ١٩٤٩ |
| الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني | ١٩٤٩ |
| الأستاذ محمد لطفي جمعة | ١٩٥٣ |
| الدكتور أحمد أمين | ١٩٥٤ |
| الأستاذ عبد الحميد العبادي | ١٩٥٦ |
| الشيخ محمد الخضر حسين | ١٩٥٨ |
| الدكتور عبد الوهاب عزام | ١٩٥٩ |
| الدكتور منصور فهمي | ١٩٥٩ |
| الأستاذ أحمد لطفي السيد | ١٩٦٣ |
| الأستاذ عباس محمود العقاد | ١٩٦٤ |
| الأستاذ خليل ثابت | ١٩٦٤ |
| الأمير يوسف كمال | ١٩٦٦ |
| الأستاذ أحمد حسن الزيات | ١٩٦٨ |
| الدكتور طه حسين | ١٩٧٣ |
| الدكتور أحمد زكي | ١٩٧٥ |
| الأستاذ حسن كامل الصيرفي | ١٩٨٤ |
| الأستاذ محمد عبد الغني حسن | ١٩٨٥ |

## المملكة المغربية

| | |
|---|---|
| الأستاذ محمد الحجوي | ١٩٥٦ |
| الأستاذ عبد الحي الكتاني | ١٩٦٢ |
| الأستاذ علال الفاسي | ١٩٧٣ |
| الأستاذ عبد الله كنون | ١٩٨٩ |
| الأستاذ محمد الفاسي | ١٩٩١ |

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| **الاتحاد السوفييتي** | |
| الأستاذ كراتشكوفسكي ( أغناطيوس ) | ١٩٥١ |
| الأستاذ برتل ( ايفكني ادوار دو فيتش ) | ١٩٥٧ |
| **اسبانية** | |
| الأستاذ آسين بلاسيوس ( ميكل ) | ١٩٤٤ |
| **المانية** | |
| الأستاذ هارتمان ( مارتين ) | ١٩٢٨ |
| الأستاذ ساخاو ( ادوارد ) | ١٩٣٠ |
| الأستاذ هوروفيتز ( يوسف ) | ١٩٣١ |
| الأستاذ هوميل ( فريتز ) | ١٩٣٦ |
| الأستاذ ميتفوخ ( أوجين ) | ١٩٤٢ |
| الأستاذ هرزفلد ( أرنست ) | ١٩٤٨ |
| الأستاذ فيشر ( أوغست ) | ١٩٤٩ |
| الأستاذ بروكلمان ( كارل ) | ١٩٥٦ |
| الأستاذ هارتمان ( ريشارد ) | ١٩٦٥ |
| الدكتور ريتر ( هلموت ) | ١٩٧١ |
| **ايران** | |
| الشيخ أبو عبد الله الزنجاني | ١٩٤٧ |
| الأستاذ عباس إقبال | ١٩٥٥ |
| الدكتور علي أصغر حكمة | ١٩٨١ |

| | تاريخ الوفاة |
|---|---|
| **ايطالية** | |
| الأستاذ غريفيني ( اوجينيو ) | ١٩٢٥ |
| الأستاذ كايتاني ( ليون ) | ١٩٢٦ |
| الأستاذ غويدي ( اغنازيو ) | ١٩٣٥ |
| الأستاذ نللينو ( كارلو ) | ١٩٣٨ |
| **باكستان** | |
| الأستاذ محمد يوسف البنوري | ١٩٧٧ |
| الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي . | ١٩٧٨ |
| **البرازيل** | |
| الدكتور سعيد أبو جمرة | ١٩٥٤ |
| الأستاذ رشيد سليم الخوري ( الشاعر القروي ) | ١٩٨٤ |
| **البرتغال** | |
| الأستاذ لويس ( دافيد ) | ١٩٤٢ |
| **بريطانية** | |
| الأستاذ ادوارد ( براون ) | ١٩٢٦ |
| الأستاذ بفن ( انطوني ) | ١٩٣٣ |
| الأستاذ مرغليوث (د. س.) | ١٩٤٠ |
| الأستاذ كرينكو ( فريتز ) | ١٩٥٣ |
| الأستاذ غليوم ( الفريد ) | ١٩٦٥ |
| الأستاذ اربري (أ. ج.) | ١٩٦٩ |
| الأستاذ جيب ( هاملتون ا.ر.) | ١٩٧١ |

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ الوفاة

### بولونية

الأستاذ ( كوفالسكي ) ١٩٤٨

### تركية

الأستاذ أحمد اتش

الأستاذ زكي مغامز ١٩٣٢

### تشيكوسلوفاكية

الأستاذ موزل ( ألوا ) ١٩٤٤

### الدانمرك

الأستاذ بوهل ( فرانز ) ١٩٣٢

الأستاذ استروب ( يحى ) ١٩٣٨

الأستاذ بدرسن ( جون ) ١٩٧٤

### السويد

الأستاذ سيترستين ( ك. ف ) ١٩٥٣

### سويسرة

الأستاذ مونته ( ادوارد ) ١٩٢٧

الأستاذ هيس ( ج. ج ) ١٩٤٩

### فرنسة

الأستاذ باسيه ( رينه ) ١٩٢٤

الأستاذ مالانجو ١٩٢٦

الأستاذ هوار ( كليمان ) ١٩٢٧

الأستاذ غي ( ارثور ) ١٩٢٨

الأستاذ ميشو ( بلير ) ١٩٢٩

الأستاذ بوفا ( لوسيان ) ١٩٤٢

الأستاذ فران ( جبرييل ) ١٩٥٣

الأستاذ مارسيه ( وليم ) ١٩٥٦

تاريخ الوفاة

الأستاذ دوسو ( رينه ) ١٩٥٨

الأستاذ ماسينيون ( لويس ) ١٩٦٢

الأستاذ ماسيه ( هنري ) ١٩٧٠

الدكتور بلاشير ( ريجيس ) ١٩٧٣

الأستاذ كولان ( جورج )

الأستاذ لاوست ( هنري ) ١٩٨٣

### المجر

الأستاذ غولدزيهر ( اغناطيوس )١٩٢١

الأستاذ ماهلر ( ادوارد )

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

### النمسا

الدكتور اشتولز ( كارل )

### الهند

الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

### هولاندة

الأستاذ هورغرونج ( سنوك ) ١٩٣٦

الأستاذ اراندونك ( ك فان )

الأستاذ هوتسما ( مارتينوس
تيودوروس ) ١٩٤٣

الأستاذ شخت ( يوسف ) ١٩٧٠

### الولايات المتحدة الأميركية

الدكتور مكدونالد ( ب ) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد ( ارنست ) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون ( جورج ) ١٩٥٦

الدكتور ضودج ( بيارد ) ١٩٧١

الدكتور فيليب حتي ١٩٧٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com